

— روايات مصرية للجيب —

أحلام ضائعة

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود ! !

وفى هـذا الزمن الذى طغت فيـه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهـذا النـوع من الحب .. نحتـاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ــ الصديقتان ..

ارتفعت نغمات (الديسكو) الصاخبة فى المكـان ، واندمجت (ناهد) فى مراقصة (أحمد) ، وجسدها يهتز بقوة مـع الموسيقى ، وبـدت فى أوج مرحها وحيويتها ، وقـد استحوذت على اهتمام معظم الشباب ، الذين تمت دعوتهم إلى هذا الحفل ، والذين تزاحموا على مراقصتها ، مما آثـار غيرة وحسد الفتيات الأخريات ، ولكن هذا القدر مـن الاهتمام والنجومية لم يكن غريبًا بالنسبة لـ (ناهد) ؛ فقد اعتادت دائمًا أن تستحوذ على اهتمام وإعجاب الموجودين ، فى أى مكان تذهب إليه ؛ إذ كانت (ناهد) جميلـة على نحو غير عادى .. إنه ذلك النوع من الجمال الذى يجتذبك إليه من الوهلة الأولى ، ويجعلك غير قادر على أن تحيد ببصرك عنه ، أو تقاوم إعجابك به ..

وربما كان من الأمور ، التى يصعب القيام بها حيقة ، هو البحث عن موطن الجمال الحقيقى فى هذه الفتاة ..

هل يكمن فى عينيها الخضراوين ، اللتين تشبهان عيون القطط ؟ أم فى شعرها الأسود الفاحم ، الذى ينسدل على كتفيها فى نعومة وانسيابية ؟ أم فى تقاطيع وجهها الدقيقة وبشرتها البيضاء الصافية ؟ أم فى تناسق قوامها البديع ؟..

كان التحديد صعبًا للغاية ، مع كل هذا القدر من الجمال ، الذى منّ به الله عليها ..

ولم يكن الجمال وحده هو سر تهافت القلوب عليها ، وتنافس العديدين لخطب ودها ، إذ حباها الله ، بجانب ذلك الجمال الباهر ، جاذبية غير عادية ، أضفت إلى جمالها بريقًا ..

وكانت (ناهد) تعرف كل ذلك فى نفسها ، وتثق فى تأثيرها على الآخرين ، ربما إلى حد الغرور ..

على أن أخطر مافيها هو ذكاؤها وطموحها ، اللذان لاتعرف لهما حدودًا ، فقد نشأت فى أسرة متوسطة الحال .. كان أبوها موظفًا فى إحدى الشركات .. وعلى الرغم من أن دخله كان يكاد لايكفى لتوفير مصاريف الأسرة ، إلا أنه كان حريصًا دائمًا على تلبية طلبات (ناهد) ، وجعلها متميزة فى كل شىء ، فقد أدخلها مدرسة خاصة ، ذات مصاريف باهظة ، منذ طفولتها ، بعد أن باع الفدانين اللذين ورثهما عن أبيه ،

أسوة بفتيات الأسر الثرية ، وكان لها ماطلبت ، حينما أرادت الاشتراك فى النادى ، الذى تشترك فيه زميلاتها فى المدرسة ، على الرغم من اعتراض والدتها ، إذ كانت ابنته الوحيدة ، وكان كلما نظر إليها ، وتأمل جمالها ، أحسّ بأنها ، يجب أن تكون متميِّزة ..

وتوفى الأب وهو مثقل بالديون ؛ بسبب تهافته على تحقيق مطالب ابنته التى لاتنقطع ، وكان على (ناهد) أن تواجه نوعًا آخر من الحياة مع أمها ، فى ظل الديون ، والدخل المتبقى لهما من معاش الأب ، ولكنها ظلت حريصة على إخفاء حقيقة وضعها الجديد ، بين زميلاتها فى النادى ، وفى الشركة التى التحقت للعمل بها ..

كانت تعرف منذ طفولتها أنها لاتنتمى حقيقة إلى هؤلاء الفتيات الثريات ، اللاتى تصاحبهن ، وأنه على الرغم من حرص والدها الدائم على تحقيق كل رغباتها ، من ثياب غالية الثمن وغيرها من مظاهر البذخ ، متحاملًا على إمكاناته الحقيقية ، إلا أن المسافة كانت لاتزال شاسعة بين مايمكنها أن تحصل عليه ، وماهو متوافر بالنسبة لتلك الفتيات اللاتى تخالطهن ، ولم تنس لحظة حقيقة الواقع ، الذى يفصل بين أسرتها المتوسطة الحال

وأسر أولئك الفتيات المرفهات ، اللاتى وُلدن وفى أفواههن ملاعق من ذهب ، ولكنها لم تنس أيضًا أنها كانت تمتلك ما يمكنها أن تتفوق به عليهن دائمًا ، ألا وهو ذلك الجمال ، الذى وهبته لها الطبيعة ، وأنهن لن يستطعن ، مهما أنفقن ، منافستها فى هذا المضمار ، وهذه هى الموازنة ، التى مكنَّت (ناهد) من عدم الاستسلام للشعور بالنقص ، تجاه زميلاتها ، سواء فى الدراسة أو فى العمل أو فى النادى ، إذ كانت تعرف أنهن بالرغم من الثياب الفاخرة والسيارات الفارهة ، وكل ما وفره لهن الثراء من امتيازات ومتع دنيوية ، يحسدونها على جمالها ، وعلى الكيفية التى تستأثر بها على اهتمام الرجال أينما حلت ، وبما أن جمالها كان هو رصيدها الحقيقى ، فقد حرصت على استثماره دائمًا ..

لقد كان هو جوازها لتخفيض اشتراك النادى ، وتعيينها فى تلك الشركة التى تعمل بها ، وإلى دعوتها الدائمة إلى مثل هذه الحفلات ، كما أنها — بسبب اعتزازها بهذا الجمال — كانت ترفض دائمًا كل من تقدَّم للزواج منها ، إذ لم تر بين كل من تقدموا لها — على كثرتهم — من يستحق أن يكون زوجا لها ..

كانت تحلم دائمًا برجل ثرى ، بل واسع الثراء ، ليعوِّضها عن النقص الوحيد الذى أحسَّته فى حياتها تجاه المال ، والناجم

عن مزاملتها — منذ الصغر — لفتيات يفقنها ماديًا ، ويتحدَّثن أمامها دائمًا عن أشياء تبدو لها كالأحلام ..

حقيقة أنها لم تدع الفرصة لأحد ، لكى يكشف إحساسها بالنقص من هذه الناحية ، ولكن العقدة كانت كامنة فى أعماقها ، وكانت تحاول التغلب عليها دائمًا بثروتها من الجمال ، ومع ذلك فقد ظلت تشعر دائمًا بأن هذا الجمال يستحق أن ينعم بحياة رغدة ، لا تقل بأى حال من الأحوال عن تلك الحياة ، التى نشأت فيها زميلاتها ، إذ كان لديها الإحساس دائمًا بأنها تفوقهن جميعًا ، فلديها الجمال ، ولديها الجاذبية ، ولديها الذكاء والطموح ، وبقى اعتقادها الراسخ بأن كل هذه الأشياء لابد أن تكون جواز مرورها إلى الحياة ، التى طالما حلمت بها ، وأنها لن تمنح نفسها كزوجة ، إلا لرجل يستطيع أن يحقق لها هذه الحياة الطموحة ..

تحدثت إحداهن وهى ترقب (ناهد) بعيون حاقدة :

— إنها تتعمد جذب الأنظار إليها .

وردَّت عليها زميلتها ، قائلة :

— ألا تعرفين (ناهد) ؟

قالت فتاة ثالثة ، وفى صوتها ما ينم عن غيرتها الشديدة :

— إنها مغرورة ومستهترة .. لا أدرى ما الذى جعل (سعاد) تدعوها إلى حفل عيد ميلادها ، فهى لا ترقى إلى مستوى أية فتاة من المدعوات .

ورَدت الفتاة الأولى قائلة :

— لو كنت أعرف أنها مدعوة ما حضرت .

وتحدثت الفتاة الثانية ، وهى تنظر إلى إحدى الفتيات ، وهى تقترب منهن :

— اصمتن الآن .. ف (سلوى) قادمة ، وأنتن تعرفن كيف تتصدّى للدفاع عن (ناهد) ، كما لو كانت محاميها الخاص .

كانت (سلوى) فتاة متوسطة الجمال ، تتميز بالأناقة والبساطة فى آن واحد ، وتدلّ ملامحها على أنها من ذلك النوع ، الذى يعتدّ بنفسه ، ويثق فى قدراته ، دون مبالغة أو افتعال ، وكانت من أقرب الصديقات لـ (ناهد) ، خاصة وأنها كانت تقريبًا من نفس المستوى الذى تنتمى إليه ، ولا تتعداه إلا قليلًا ، فعدا عيادة أبيها الطبيب ، والتى كانت تدر دخلًا لا بأس به على أسرتها ، فقد كانت تمتلك منزلًا صغيرًا ، كتبه أبوها باسمها ؛ تأمينا لمستقبلها ..

وعلى الرغم من الصداقة التى تربط بين (سلوى) و (ناهد) ، إلا أنها كانت ، على العكس من صديقتها ، تتميز بالهدوء والطموح ، الذى لا يصل إلى حد الجموح ، وكانت المقاييس العاطفية عندها دائمًا لها المكانة الأولى ، قبل أية مقاييس أخرى ، إذ كانت تؤمن دائمًا بقيمة المشاعر النبيلة ، والعواطف الحقيقية المخلصة ..

تقدَّمت (سلوى) من الفتيات الثلاث مبتسمة ، وهى تقول :

— تُرى من هى سيئة الحظ ، التى تتهامسن عنها الآن ؟

قالت إحداهن ، دون أن تقوى على السيطرة على مشاعرها :

— ألا ترين أن صديقتك (ناهد) قد تجاوزت الحدود بهذا الرقص المتواصل ؟ إنها لم تهدأ لحظة واحدة منذ أن حضرت إلى الحفل .

قالت لها (سلوى) بلهجة رصينة :

— أعتقد أن هذا أمر يخصها وحدها ، كما أننى أرى أنها لا تفعل شيئًا يستحق الاستهجان .

قالت لها إحدى الفتيات ، محاولة التخفيف من اللهجة الحاقدة ، التى تحدَّثت بها زميلتها :

ـــ إننا لانقصد شيئًا ، إننا فقط نشفق عليها من الإرهاق والتعب .

نظرت إليها (سلوى) بنظرة ثاقبة ، وهى تقول :

ـــ على كل حال أشكركن نيابة عنها ؛ لهذا الاهتمام الزائد بصحتها .

تحدثت الفتاة الأولى ، قائلة :

ـــ ليتها كانت مثلك يا (سلوى) ، فأنت هادئة الطباع ، رزينة التفكير .. لقد رفضت حتى أن تشاركى أحدهم فى رقصة واحدة .

ردّت عليها (سلوى) قائلة :

ـــ ليس من الضرورى أن نتشابه ، لكى نصبح أصدقاء ، كما أن عدم مشاركتى أحدهم الرقص لايجعلنى متميزة عنها فى شىء ، كل ماهنالك أننى لاأحب هذا النوع من الرقص الصاخب .

ثم تركتهنّ وانصرفت ، متجهة إلى مجموعة أخرى من الأصدقاء والصديقات ، فى حين تحدثت إحدى الفتيات بعد انصرافها فى ضيق ، قائلة لزميلاتها :

ـــ ألم أقل لكن إنها تتصدى للدفاع عنها دائمًا ، كما لو كانت محاميها الخاص ؟

اقترب (ياسر) من (سلوى) قائلًا :

ـــ هل أطلب منك خدمة صغيرة ؟

ابتسمت قائلة فى دهشة :

ـــ وماهى هذه الخدمة ؟

ياسر :

ـــ أنت صديقة (ناهد).. أريد منك أن تخبريها أننى أرغب فى أن تكون الرقصة القادمة من نصيبى معها .

نظرت (سلوى) إليه باستخفاف ، ثم مالبثت أن قالت :

ـــ يالك من تافه !!

وتركته وابتعدت مشيرة لـ (ناهد) ، كى تكف عن الرقص وتحضر إليها ، لكن (ناهد) تجاهلت إشارتها ، واستمرت فى مراقصة زميلها ، وبدا الاستياء واضحًا على وجه (سلوى) تجاه صديقتها .. لقد كانت تدافع عنها دائمًا ، كلما حاول أحدهم أن ينالها بسوء ، أو يبدى ملاحظاته على تصرفاتها المستهترة ، لكنها فى قرارة نفسها لم تكن راضية عن تلك التصرفات ، ولاعن أسلوبها فى الحياة ونظرتها للأمور ، ولم تكن تتوانى فى مواجهتها بذلك ..

وعلى الرغم من أن (ناهد) لم تكن تهتم بآراء الآخرين فيها ، ولم تكن تخضع لرأى أحد ، بالنسبة لتصرفاتها وطريقتها فى

الحياة ، حتى أمها التى طالما اتهمتها بالاستهتار والتهور ، إلا أنها كانت تحترم رأى (سلوى) دائمًا وتقدره ..

وأخيرًا اضطرت (سلوى) للتدخل ، فتقدمت نحو (ناهد) ، لتجذبها من يدها بقوة ، بعيدًا عن قاعة الرقص ، واحتجت (ناهد) قائلة بضيق :

ــ ماهذا الذى تفعلينه يا (سلوى) ؟

عنفتها (سلوى) قائلة :

ــ أتدرين كم الساعة الآن ؟.. إنها العاشرة والنصف .. إنك لم تتوقفى عن الرقص منذ ثلاث ساعات كاملة .

دقت (ناهد) الأرض بكعب حذائها احتجاجًا ودلالا ، قائلة :

ــ وماذا فى ذلك ؟ إننى لا أشعر بتعب .

علت نبرات صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ وهل تنتظرين حتى تهوين على الأرض ؟

همت (ناهد) بتركها ، وهى تتجه إلى قاعة الرقص من جديد ، قائلة :

ــ عندما أشعر بأننى سأوشك على السقوط على الأرض سأتوقف عن الرقص .

لكن (سلوى) عادت لتجذبها من يدها ، قائلةً :

ــ بل ستنصرفين معى الآن ، لقد وعدت (طنط كريمة) بإعادتك إلى المنزل فى العاشرة والنصف ، وأعتقد أننى تهاونت معك بما فيه الكفاية .

قالت لها (ناهد) مستعطفة :

ــ أعدك ألا أدع ماما تغضب منك ، بسببُ هذا التأخير ، أنت تعرفين أن ماما إنسانة طيبة ، وهى تحبك كثيرًا .

سلوى :

ــ يا (ناهد) كفى استهتارًا وطيشًا .. أنت لا تعرفين ما الذى تتحدث به عنك بقية الفتيات .

هزت (ناهد) كتفها باستخفاف ، قائلةً :

ــ دعيهن يقلن ما يشأن .. إنهن يغرن منى ، وأنت تعرفين ذلك .

سلوى :

ــ ولكنك يجب أن تحافظى على سمعتك .

ناهد :

ــ وما الذى أفعله ؟ أليس هذا عيد ميلاد صديقتنا (سعاد) ؟.. ألا يستحق أن نحتفل به ، ببعض الرقص واللهو البرىء ؟

قالت (سلوى) مؤنبة :

ـ والسهرات من يوم لآخر .. وتلك القصص والروايات ، التى يتحدثون بها عنك فى الشركة وفى النادى .

احتدّت (ناهد) ، قائلة :

ـ أنت تعرفين أننى أراعى الحدود فى كل ما أفعله ، وإذا كانوا ينسجون من خيالهم بعض الأشياء ؛ ليضيفوها إلى الحقيقة ، فليس هذا من شأنى .

سلوى :

ـ بل من شأنك ، فلا دخان من غير نار ، والخيال الذى تتحدّثين عنه له دائمًا جانب من الحقيقة .

ناهد :

ـ (سلوى) .. ألا تكفين عن القيام بدور الوصية على ؟

سلوى :

ـ ذلك لأنك صديقتى ، وأنا أحبك بالرغم من كل عيوبك .

ناهد :

ـ حسنًا .. أنا متنازلة عن هذا الحب .

حَدَجَتها (سلوى) قائلةً :

ـ هكذا .. يا (ناهد) ؟ حسنًا .. أنا آسفة .. وأعدك ألا أتدخل فى أمورك مرة أخرى .

وجدت (ناهد) نفسها تندفع ، لتحتويها بين ذراعيها قائلةً :

ـ أنا آسفه .. لم أكن أقصد ما قلته ، إننى لا أريد أن تغضبى منى أبدًا .

بقى وجه (سلوى) متجهمًا ، وفى عينيها نظرة عتاب ، لكن (ناهد) أخذت تداعبها ، وهى تجذب خصلات شعرها المسدلة على جبينها ، قائلةً :

ـ هيّا ابتسمى .. دعينى أرى ابتسامتك الصافية .

وجدت (سلوى) نفسها تبتسم ، وهى تهز رأسها قائلةً :

ـ لو لم أكن أحبك .. إنك تعرفين كيف تتغلبين على غضبى دائمًا .

وأحاطت (ناهد) عنق (سلوى) بساعديها ، قائلةً :

ـ هل يعنى هذا أننا قد تصافينا ؟

سلوى :

ـ بشرط أن تأتى بحقيبتك الآن ، لنغادر المكان .

وانحنت ناهد أمامها بطريقة تمثيلية قائلةً :

— شبيك لبيك يا مليكتى .. سأحضر حقيبتى وآتى حالًا ، ولكن عليك أن تبحثى لنا عن سيارة أجرة ، فأنا لا أستطيع أن أعتمد على سيارتك المتهالكة هذه .

ضحكت (سلوى) ، وهى تشدها من أذنها قائلة :

— هل أصبحت تنكرين فضلها الآن ؟ أليست هى نفس السيارة التى تقلك يوميًا إلى المنزل والشركة والنادى ؟

ناهد :

— تقصدين التى أدفعها بيدى يوميًا .. هيه .. على كل حال سأحضر حقيبتى ، وليرأف بنا الله ، من تلك السيارة .

وفى أثناء انتظار (سلوى) لصديقتها ، اقترب منها أحد الأشخاص فى ارتباك ، وقد بللت حبات العرق جبينه ، وهو يحاول تثبيت منظاره الطبى فوق أنفه قائلًا :

— مساء الخير يا آنسة (سلوى) .

ابتسمت له (سلوى) فى ود قائلة :

— أهلًا .. مساء الخير يا (طارق) .

أزدرد لعابه قائلًا :

— إننى غالبًا لا أحضر مثل هذه الحفلات .. ولكنى .. ولكنى ..

فى أثناء ذلك كانت (ناهد) قد أحضرت حقيبتها ، ووقفت على مقربة منهما ، وهى تكتم ضحكتها لمنظر الشاب ، ونظرت إليها (سلوى) معاتبة ، وقد خشيت أن تنطلق ضحكاتها ، لكن (ناهد) مالبثت أن تحدثت نيابة عنه ، وهى تكمل عبارته قائلة :

— ولكنك حضرت خصيصًا من أجل (سلوى) .

التفت إليها الشاب وقد فوجئ بوجودها ، فازداد ارتباكه ، لكنه مالبث أن استجمع شجاعته من جديد ، وهو يعيد تثبيت منظاره الطبى فوق أنفه ، قائلًا بتلعثم :

— نـ .. نعم .. هذا هو ماأردت قوله منذ أن جئت إلى حفل عيد الميلاد .

ضحكت (ناهد) قائلةً :

— وهل احتاج الأمر منك إلى كل هذا الوقت ، لتنطق بذلك ؟

صاحت فيها (سلوى) قائلة :

— (ناهد) .

ثم تحولت لتنظر إليه بابتسامة ودود ، محاولة إنقاذه من حرجه ، وهى تقول :

— أشكرك يا (طارق) ، ويسعدنى منك هذا التقدير ..

أخرج (طارق) منديله ، ليجفف به عرقه قائلا :

— فى الواقع .. فى الواقع ..

عادت (ناهد) لتقاطعه ، قائلة :

— فى الواقع كان بودنا أن نتحدث معك وقتا أطول ، ولكننا مضطرتان للانصراف الآن .

بدت على وجهه أمارات الأسف ، وهو يقول :

— بهذه السرعة ؟

قالت له (ناهد) ، وهى تكتم ضحكاتها الساخرة :

— نعم .. إلا إذا كنت تريد مراقصتى .. ما رأيك ؟

عاوده ارتباكه ، وهو يقول بجديه :

— أنا .. أنا آسف .. فأنا لاأعرف الرقص .

خلصته (سلوى) من حرجه مرة أخرى ، وهى تصافحه قائلة :

— لاشىء يدعو للأسف .. فأنا أيضا لاأجيد الرقص .. ويؤسفنى أننا مضطرتان لتوديعك الآن فقد تأخر الوقت .

استجمع (طارق) شجاعته ليقول :

— هل ترغبان فى أن أوصلكما ؟

سلوى :

— لاداعى لذلك ؛ فسيارتى معى .

وقالت لها (ناهد) :

— لماذا لاتدعينه ؟

لكن (سلوى) حدجتها بنظرة صارمة ، قائلة :

— (ناهد) .

ثم نظرت إليه بكل احترام ، قائلة :

— وداعا يا (طارق) .

وجذبت (ناهد) من رسغها وهى تفتح باب السيارة ، لكن (ناهد) لم تنس أن تداعب (طارق) ، قبل انصرافها ، فتناولت المنديل الموضوع فى جيبه ، تمسح به حبات العرق على جبينه قبل رحيلها ، ثم قدمته له قائلة :

— داوم على ذلك .. ولاتنس أن تتعلم الرقص .. فقد أخصك ذات يوم برقصة معى .

وأطلقت ضحكة عابثة ..

* * *

٢ ـ فتاة مستهترة

قالت (سلوى) بضيق ، وهى تقود السيارة :

ـ ألن تكفى عن ذلك العبث ؟

ضحكت (ناهد) قائلةً :

ـ أى عبث ؟

سلوى :

ـ لقد تسببت فى إحراجه .

ناهد :

ـ إحراج من ؟.. آه.. أتقصدين (طارق) ؟. فى الحقيقة أننى لاأستطيع أن أمنع نفسى من الضحك ، كلما رأيته . هل رأيت كيف كان ينظر إليك ، محاولًا تثبيت المنظار فوق أنفه ، وقد اعتراه الخجل ؟.. ثم إن المسكين ماإن تقع عيناه عليك حتى يقطر عرقًا ، ويبدأ فى التلعثم .

سلوى :

ـ (طارق) شاب مهذب ، وليست له تجارب ، مثل أولئك الذين يحومون حولك ليلًا ونهارًا .. هذا كل مافى الأمر ..

ناهد :

ـ إنه لايستطيع أن ينطق بعبارة كاملة .

سلوى :

ـ ولكن لاتنسَ أنه طبيب ناجح .

ناهد :

ـ ربما .. ولكنه لايصلح أن يكون فتى الأحلام لأى فتاة .

التفتت إليها (سلوى) ، قائلةً بحدة :

ـ لماذا ؟ كونه مهذبًا أمر لايعيبه ، وهو بحاجة فقط لفتاة تفهمه ، وتفتح له قلبها ، وبعدها سيتخلص من حالة الارتباك والحرج التى تعتريه ، والتى تثير سخريتك .

نظرت إليها (ناهد) بخبث ، قائلة :

ـ ترى من هى تلك الفتاة ، التى تستطيع أن تفهمه وتفتح له قلبها ؟

قالت (سلوى) وقد فهمت مغزى سؤالها :

ـ أية فتاة تعرف كيف تحترم وتقدر مشاعر الآخرين ، ولاتسخر منها .. فتاة ليست لها مثل تلك الأفكار ، التى تدور فى رأسك .

نظرت إليها (ناهد) بدهشة ، قائلةً :

ـ (سلوى) .. لاتقولى إنه يمكنك أن تحبى شخصًا مثل (طارق) هذا ، وتتزوجيه .

قالت لها (سلوى) بجدية :

— ولِمَ لا ؟

ازدادت دهشتها ، وهى تردَّد قائلةً :

— لِمَ لا ؟ لأن هذا يعد حماقة منك بالطبع .. إنك فتاة جميلة ، ومن أسرة كبيرة ، ويمكنك أن تتزوجى شخصًا يليق بك ويكون أفضل منه بكثير .. إننى لا أعنى بالطبع كونه خجولًا ، وعديم الخبرة فى الأمور العاطفية ، فتلك الأشياء يمكن تقبلها والتعامل معها ، ولكننى أقصد أشياء أخرى .

نظرت إليها (سلوى) قائلةً :

— أشياء مثل ماذا ؟

ناهد :

— إنه من أسرة بسيطة ، وتلك العيادة الصغيرة لا تدر عليه دخلًا كافيًا ، يمكن أن يؤمن لك حياة رغدة .

ارتسمت على شفتى (سلوى) شبه ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

— أتقصدين الثراء والطموح المادى ؟. ألم أقل لك إننى أعرف الكثير عن تلك الأفكار التى تدور فى رأسك ؟. ولهذا قلت لك إنه ليس بحاجة إلى فتاة مثلك .

ناهد :

— لا تنسى أن هذه الفتاة صديقتك .

سلوى :

— هذا قدرى الذى لا أملك لنفسى حيلة أمامه .

ضحكت (ناهد) قائلةً :

— ولكن حقيقة يا (سلوى) .. هل تكنين شيئًا من العاطفة لهذا الطبيب الخجول ؟

سلوى :

— لا أستطيع أن أقول ذلك ، ولكننى أشعر بشىء من التقدير والإعجاب نحوه .

كتمت (ناهد) ضحكتها قائلةً :

— الإعجاب ؟. الإعجاب نحو هذا ؟

ارتسمت ملامح الغضب على وجه (سلوى) ، وهى تقول :

— نعم .. وماذا فى هذا ؟

خشيت (ناهد) من إثارة غضب صديقتها ، فتحاملت على نفسها تمنعها من الضحك ، وهى تؤثر الصمت ، خاصة وقد قاربت الوصول إلى منزلها ، ولكن الضحكة انطلقت فى أعماقها ..

وفى عقلها ..

* * *

استقبلتها أمها بوجه غاضب ، قائلةً :

ــ لماذا تأخرت كل هذا الوقت يا (ناهد) ؟

أسرعت (ناهد) لتقبلها على وجنتيها قائلةً :

ــ ألم تنامى بعد ياست الحبايب ؟

وكيف يمكننى أن أنام وأنت خارج المنزل حتى هذه الساعة ؟

ناهد :

ــ ألم أقل لك إنه عيد ميلاد (سعاد) ، وإننى قد أتأخر لبعض الوقت هناك ؟

الأم :

ــ نعم .. ولكنك لم تقولى إنك ستتأخرين حتى الحادية عشرة والنصف ..

ناهد :

ــ ياأمى العزيزة .. إنه عيد ميلاد ، وأنت تعرفين هذا النوع من الحفلات ، ولقاءات الأصدقاء ، مما يجعل المرء لايشعر بمرور الوقت .

قالت لها الأم ، دون أن تتخلى عن غضبها :

ــ عمومًا .. حسابى لن يكون معك ، بل سيكون مع (سلوى) ، التى أوصيتها بألا تتجاوزا العاشرة والنصف .

قالت (ناهد) بامتعاض :

ــ ماما .. إننى لم أعد طفلة صغيرة .

الأم :

ــ أعرف هذا .. وذلك مايزيد من مخاوفى بالنسبة لك .. خاصة وأنت تنتهجين هذا الأسلوب فى حياتك .

ناهد :

ــ أى أسلوب .. إننى أعيش حياتى كأية فتاة عصرية .

الأم :

ــ إن العصرية لاتعنى التحرر الزائد .. لاتعنى الذهاب إلى النادى يوميًا ، والسهرات المستمرة ، ومصادقة هذا وذاك ..

تبرّمت ناهد قائلة :

ــ أوف .. ماما .. هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟ تكفينى محاضرات (سلوى) .

قالت لها أمها بحنان :

ــ صدقينى يابنتى إننى لاأريد سوى مصلحتك ، فأنت ابنتى الوحيدة ، وأنا أخشى عليك من ..

قاطعتها (ناهد) لتنهى المناقشة ، قائلة :

حسن يا أمى .. أعرف ذلك .. والآن أنا متعبة ، وبحاجة ماسة للحصول على قسط من النوم .. تصبحين على خير ..

قبلتها على وجنتيها سريعًا ، ثم اندفعت لحجرتها ، فى حين تابعتها الأم بعين غير راضية ..

وبقلب يرتجف ..

* * *

وقف (طارق) ، فى اليوم التالى ، داخل النادى ، يتلفَّت حوله يمينًا وشمالًا ، حتى شعر بـ (ناهد) تربت على كتفه من خلف ، قائلةً وهى تبتسم :

— هل تبحث عن أحد ؟

عاودته حالة الاضطراب ، وهو يلتفت إليها ، مثبتًا منظاره الطبى فوق أنفه ، قائلًا :

— آنسه .. (ناهد) ؟

ضحكت قائلةً :

— لابد أنك تبحث عن (سلوى) .

تلعثم قائلًا :

— ن .. نعم .. فى الحقيقة ..

قاطعته كعادتها قائلةً :

— فى الحقيقة أنها لن تحضر اليوم ، ولا غدًا ، ولا بعد غد .

ارتسمت علامات الأسف على وجهه ، وهو يقول :

— لماذا ؟

ناهد :

— لأنها سافرت إلى (الإسكندرية) ، فى صحبة والديها .. يمكن أن تقول إنها إجازة قصيرة .

ازدادت ملامح الأسف على وجهه ، وهو يتلقَّى ذلك الخبر منها ، وداعبته (ناهد) وهى تجذب المنظار من فوق أنفه ، قائلةً :

— لا تدع الحزن يغلبك إلى هذه الدرجة ، فثلاثة أيام ليست بالشىء الكثير فى عمر الزمن .

نظر إليها دون أن ينطق بشىء ، وهو ينتظر أن تعيد إليه منظاره ، ولكنها لم تفعل ، بل قالت له فى مرح عابث :

— لن أعيد لك المنظار ، حتى تدعونى إلى الغداء .

قال لها ، وهو يخرج منديله ليجفف عرقه :

— بكل سرور يا آنسة (ناهد) .

دفعته بإصبعها فى كتفه قائلة :

— وتنادينى (ناهد) فقط دون رسميات ، ومن الأفضل أن تدعونى (نانى) كما يدعونى أصدقائى .. ألسنا صديقين ؟

تلعثم قائلًا :

ـ طبعًا .. طبعًا يا آنسة (ناهد) .

تظاهرت بالغضب ، قائلةً :

ـ مرة أخرى ؟!. قلت (نانى) .. ردّدها بلسانك عدة مرات ، حتى تعتادها .

ازدرد لعابه قائلًا بصعوبة :

ـ نا .. نانى .

انطلقت منها ضحكة عالية ، ثم أعادت تثبيت المنظار فوق أنفه قائلةً :

ـ حسن .. والآن هيا إلى الغداء .

* * *



٣ ـ حب وصداقة ..

كانت (سلوى) جالسة على مقعدها المفضل فى النادى ، تقرأ أحد الكتب ، عندما لمحته يمر أمامها ، فنادته قائلةً :

ـ (طارق) .

اقترب منها ، وقد بدا هذه المرة أقل ارتباكًا ، وقال :

ـ أهلًا (سلوى) .. لقد بلغنى أنك كنت مسافرة .

ابتسمت (سلوى) قائلةً :

ـ نعم .. لقد حضرت إلى (القاهرة) منذ يومين .

بدا قلقًا وهو يتلفت حوله .. ولم تكن (سلوى) هى محور قلقه هذه المرة إذ سرعان ما سألها :

ـ ألم تلتقى بـ (نانى) ؟

أدهشها هذا اللفظ فردّدت :

ـ (نانى) ؟!

طارق :

ـ نعم .. آه .. أقصد (ناهد) .

ضحكت قائلةً :

ــ هذه أوَّل مرة أراك فيها تناديها بهذا التدليل .

صمت قليلًا وقد شعر ببعض الحرج ، ولكنها أنقذته من حرجه مرة أخرى قائلةً :

ــ لا .. (ناهد) لم تحضر إلى النادى اليوم .

بدا منزعجًا ، وهو يسألها :

ــ لماذا ؟ هل حدث لها مكروه ؟

قالت له مندهشة ، وهى تهز كتفيها :

ــ لاأدرى لماذا لم تحضر ، وليس من الضرورى أن تكون قد تعرضت لمكروه لكى لاتحضر إلى النادى ، فأحيانًا تمر عدة أيام ، دون أن تأتى للنادى .

طارق :

ــ ولكنها وعدتنى أن تحضر اليوم .

استغربت (سلوى) اهتمامه المفاجئ بـ (ناهد) ، لكنها قالت له ضاحكة :

ــ لاتعتمد كثيرًا على وعود (ناهد) .

ثم نظرت إليه وكأنها تراه لأول مرة ، قائلةً :

ــ (طارق) .. إننى أراك مرتديًا ملابس التنس ، فهل أصبحت تمارس لعبة التنس الآن ؟

ابتسم وهو يجذب لنفسه مقعدًا بجوارها قائلًا :

ــ (ناهد) تدرِّبنى على لعبة التنس هذه الأيام .

قالت له (سلوى) ، وقد بدأت تشعر بالقلق عليه :

ــ (ناهد) .. هل كنت تلتقى كثيرًا بـ (ناهد) خلال الأيام الماضية ؟

طارق :

ــ نعم .. لقد توطدت بيننا العلاقة كثيرًا خلال الأيام السابقة ، وليس التنس وحده هو الذى أتعلمه منها .. لقد تعلمت أشياءً كثيرة على أيدى (ناهد) .

تعجَّبت (سلوى) لتحول مشاعره السريع عنها إلى (ناهد) ، لكنها كانت تشعر بالقلق أكثر ؛ لعاطفته المندفعة على هذا النحو تجاه صديقتها ، فهى أدرى إنسانة بطبيعة (ناهد) ، وتعرف جيِّدًا أنها لاتقيم وزنًا لعاطفة أو مشاعر ، وشخص له هذه المشاعر المرهفة مثل (طارق) ، يمكن أن يتحوَّل إلى ضحية لها ، خاصة وأنها كانت دائمة السخرية منه ، وتعرف رأيها فيه جيِّدًا ..

وفى اليوم التالى حضرت (سلوى) إلى النادى ، لتجد (ناهد) جالسة وسط مجموعة من صديقاتها وأصدقائها ، ولم

تكد (ناهد) تراها ، حتى هبت من فوق مقعدها لتحتضنها ، وهى تدعوها إلى الجلوس معهم ، ولكن (سلوى) لم تلبث أن شعرت بتفاهة حديثهم ، فانتحت بمقعدها جانبًا ، وهى تتناول كتابها لتقرأه ، تاركةً إياهم لأحاديثهم المليئة بالتفاهات ، وبعد قليل انتبهت على صوت (طارق) ، الذى اقترب من المجموعة الجالسة ليحييهم ، ثم نظر إلى (ناهد) قائلًا :

— (نانى) .. إنك لم تحضرى أمس كما وعدتنى .

قالت (ناهد) دون مبالاة :

— كنت مشغولة .

سألها قائلًا :

— حسنًا .. هل نلعب التنس الآن ؟

قالت ، دون أن تنظر إليه :

— إننى متعبة الآن .

طارق :

— حسنًا .. يمكننى أن أنتظر قليلًا :

— قالت (ناهد) بتعالٍ :

— قلت لك إننى متعبة .. ثم إنك لا تجيد اللعب .

ابتسم (طارق) ، وكأنه يحاول إنقاذ نفسه من الحرج ، وقال :

— لا تنسى أننى ما زلت أتدرَّب .

استمرت (ناهد) فى تعاليها ، وهى تقول له :

— لم يعد لدى وقت لتدريب مبتدئ .. دع (عصام) يدرِّبك .

قال لها (عصام) الذى كان يجلس ضمن المجموعة المحيطة بها ، محتجًا :

— من ؟.. أنا ؟!.. لا أرجوك .. إن أمثاله لا يجيدون حتى الإمساك بالمضرب .

انفجرت المجموعة الجالسة ، ضاحكة لهذه العبارة ، فى حين وقف (طارق) واجمًا ، وارتسمت نظرة ألم فى عينيه ، ونظرت إليه (سلوى) بإشفاق .. فى حين انتظر هو حتى هدأت ضحكاتهم ، ليقول لـ (ناهد) ، بنبرة تحمل فى طياتها شيئًا من التوسل :

— هل يمكننى أن أتحدث معك على انفراد ؟

رمقته (ناهد) ، بتلك النظرة المتعالية ، قائلةً :

— لماذا ؟ .. يمكنك أن تتحدث إلىّ بما تريد أن تقوله أمامهم ، فليس هناك ما أخفيه عن أصدقائى ؟

عاد إلى تلعثمه وهو يردد قائلًا :

— ولكنى .. ولكنى ..

قاطعته قائلةً :

— ولكنك ماذا ؟ هيا قل مالديك فليس بينهم من سيفشى السر . هل أقول لهم أنا ؟..

أنصتوا ياجماعة .. إن الدكتور (طارق) يحبنى ، ويلحّ فى طلب الزواج منى ، منذ عدة أيام ..

بالله عليكم .. قولوا أنتم .. هل أتزوَّجه ؟

علق أحدهم قائلًا :

— (نانى) .. وذلك المتلعثم ذو المنظار الذى يتساقط دائمًا من فوق أنفه ؟! يالها من نكتة !!

قالت أخرى بسخرية :

— لاتكونى قاسية عليه يا (نانى) .. إن الطبيب مدلّه فى هواك .. ألا ترين كيف ترك عمله فى المستشفى والعيادة ؛ ليتفرغ للعب التنس من أجلك ؟

ثم غمزت لها قائلةً :

— ولاأخفى عليك .. لقد رأيته بالأمس وهو يحاول أن يتعلم الرقص ، أى أنه قابل للتطوّر .. وهناك أمل فى علاجه .

وقالت فتاة أخرى بنفس اللهجة الساخرة :

— عليه أن يثبت قدراته أولًا أمام لجنة التحكيم ، قبل أن نعلن رأينا فى هذا الزواج العجيب .

وتعالت الضحكات ، وتوالت العبارات اللاذعة ، وشعر الشاب المسكين بمهانة لا حدَّ لها ، وبأنه قد طعن فى كرامته على نحو لم يسبق له أن تعرض لمثله من قبل ، ووقفت إحداهن لتنزع منظاره قائلةً :

— دعونا نرهُ دون المنظار ، فربما جعله هذا مقبولًا من لجنة التحكيم .

ثم نظرت إلى الجالسين قائلةً :

— ما رأيكم فيه هكذا ؟.. ألا يبدو أكثر قبولًا دون المنظار ؟

ولم تقو (سلوى) على تحمل هذا المشهد أكثر من ذلك ، فهبت من فوق مقعدها ، وهى تصرخ فيهم :

— كفى .. ألا يوجد لديكن أى شعور ؟.. ألا تملك أحدكن قدرًا من الإحساس ؟

اعتدلت (ناهد) فى جلستها ، وقد أحسّت ببعض الخجل ، أمام انفعال (سلوى) على هذا النحو ، فى حين قالت أحداهن بسخرية :

— إننا نحاول إبداء رأينا ، فى العرض الذى تقدم به زميلنا المتلعثم ، ليس إلا .

قالت لهم (سلوى) بحدة :

— لا أعتقد أن رأى أى منكم فى أى شىء يمكن أن تكون له أية قيمة ، فكل منكم يتميز بتفاهة لا حدَّ لها .

ثم اندفعت من بينهم لتأخذ المنظار الطبى من يد الفتاة ، التى كانت لاتزال ممسكة به فى قوة ، لتقدمه إلى (طارق) ، قائلةً بصوت حنون :

— تعال معى يا (طارق) ، فلا مكان لك وسط هؤلاء .

ظلّ (طارق) صامتًا ، لا ينطق بكلمة ، وهو يسير بجوارها ، وحاولت (سلوى) أن تخرجه عن صمته قائلةً :

— لاتعبأ بما سمعته ، فأنت تعرف (ناهد) وأصدقاءها .. إنهم يميلون دائمًا إلى المزاح ، وأحيانًا يبدو مزاحهم ثقيلًا بعض الشىء .

بقى على صمته وهو يتطلع إليها لبرهة من الوقت ، ثم تحدث إليها قائلًا :

— لاأدرى ما الذى بدّلها نحوى هكذا ؟.. لقد كانت تبدو لى مختلفة تمامًا ، خلال الأيام الماضية ..

كانت أمامى مخلوقة أخرى .. مخلوقة كلها حنان وعاطفة ، جعلتنى أشعر أنها تحبنى .. بل تحبنى حبًا جارفًا ، وهذا مادفعنى إلى التعلق بها ، وإلى أن أطلب منها ..

توقفت الكلمة فى حلقه ، فى حين كانت (سلوى) تنظر إليه بتأثر بالغ ، ثم لم يلبث أن استطرد قائلًا :

— لقد كنت أعرف بالطبع الكثير عن طبيعة (ناهد) الأنانية المستهترة ، فالقصص لم تكن تنقطع عنها ، منذ أن اشتركت فى هذا النادى ، ولكنى تصورت .. تصورت أنها قد تغيرت بالفعل ، خلال الأيام السابقة ، فقد استطاعت أن تقنعنى ، بل أن تخدعنى ، بأنها إنسانة تختلف تمامًا عن كل ماسمعته عنها ، ولم أكن أتصور للحظة أنها يمكن أن تتخذ من مشاعر الآخرين وسيلة للسخرية والتسلية ، على هذا النحو المزرى .

قالت له (سلوى) ، بصوت أقرب إلى الرجاء :

— لاتظلمها ، فهى ضحية أفكارها والظروف التى مرت بها .

قال ، وهو يضغط على كلماته :

— إن الإنسانة المخادعة لاتستحق الصفح .. إننى لن أستطيع أن أصفح عنها ، ولا عن نفسى ؛ لأننى صدقتها وخدعت فيها على هذا النحو .

تطلعت إليه باسمةً فى مودة وهى تقول :

ــ (طارق) الذى أعرفه له قلب لايعرف القسوة ، فيما يصدره من أحكام ..

نظر إليها قائلًا :

ــ وماهو الحكم الذى تنتظرينه من رجل غُرِّر بعواطفه ، ثم جُرِح فى كرامته . بتلك الصورة المهينة ، كما رأيت منذ قليل ؟

سلوى :

ــ أنتظر منه أن يكون أكبر من الآخرين .. أنتظر منك أن تنظر إلى قيمة نفسك ، التى أقدرها حق قدرها ، ثم تنظر إلى الآخرين بنظرة إشفاق ؛ لأنهم بكل تفاهتهم ، وضياعهم بين النوادى والسهرات الليلية ، اعتمادًا على أموال أهلهم وتدليلهم لهم ، يسيرون إلى طريق الضياع بالفعل فى حين ستظلّ أنت تسير من نجاح إلى نجاح ؛ لأنك إنسان نقى ، ولديك كل مقومات النجاح .

ونظر إليها متأمِّلًا بعض الوقت ، ثم قال :

ــ يالأعاجيب القدر !. إننى لم أقوَ على مصارحتك بهذا منذ رأيتك ، ولكن هل كنت تعرفين ؟

سألته قائلة :

ــ أعرف ماذا ؟

طارق :

ــ أنك الإنسانة التى اختارها قلبى منذ البداية .

لاذت بالصمت ، فى حين استطرد (طارق) ، وقد واتته شجاعة حقيقية هذه المرة :

ــ نعم يا (سلوى) .. أنت الإنسانة الوحيدة التى احترمتها وأحببتها ، منذ أن وقعت عيناى عليك لأول مرة ، وكنت أعرف دائمًا أنك الإنسانة الوحيدة التى تصلح لأن تشاركنى حياتى ، ولكن من الغريب أننى تناسيت هذا الإحساس ، وأنا أنجرف إلى شباك صديقتك ، دون وعى منى .

والشىء الذى لن أغفره لنفسى حقًّا هو كيف سمحت لنفسى بهذا ؟ كيف تركت الغشاوة تتسلل إلى عينىَ وقلبى ، فتحجب هذه الحقيقة عنى ، مستسلما لغواية تلك الفتاة العابثة ؟

سلوى :

ــ أعتقد أنك يومًا ماستنال الفتاة التى تستحقها .

طارق :

ــ (سلوى) سأقول لك شيئًا أرجو ألا تعتبريه انفعال اللحظة ، أو ردَّ فعل لما حدث منذ قليل ، بل هو عودة للشىء الذى طالما تمنيته وحلمت به منذ أن رأيتك ، لولا الغشاوة التى تعرَّض لها قلبى .. هل تقبلين أن تتزوجينى ؟

أطرقت (سلوى) برأسها أرضًا ، وهى لاتدرى مـاذا تقول .. حقيقة أنها تشعر بشىء من الإعجاب والتقدير نحوه ، ولكن هذا الإعجاب والتقدير لايصل إلى مرتبة الانجذاب العاطفى ، وهى تخشى أن تظلمه بموافقتها على طلبه ، طالما هذا هو شعورها ، كما أنها تخشى أن تصدمه مرة أخرى برفضها بعدما تعرض له منذ لحظات بوساطة (ناهد) وأصدقائها ..

وقال لها (طارق) ، وهو يرقب حيرتها :

ـ لاتقولى شيئًا .. أعتقد أننى قد فهمت .

رفعت إليه وجهها قائلة :

ـ فهمت ماذا ؟

طارق :

ـ أن طلبى مرفوض :

ـ سلوى :

ـ (طارق) إننى ..

قاطعها قائلًا :

ـ قد أكون خجولًا وعديم الخبرة كما يقولون ، ولكن لدى القدرة على الفهم الصحيح .. هنـاك شىء أريـد فقـط أن

أستوضحه .. هل سبب رفضك لى هو أن طلبى جاء بعد أن عرضت نفس الأمر على (ناهد) ؟ هل أحرجك هذا أم جاء جارحًا لكبريائك ؟

سلوى :

ـ لاهذا ولاذاك .. أؤكد لك أن الأمر لاعلاقة له بما حدث منذ قليل ، ولايمكن أن يأتى تفكيرى على هذا النحو .

طارق :

ـ إذن فالرفض يتعلق بشخصى .

سلوى :

ـ ليس فى شخصك مايعاب إطلاقًا ، بل على العكس ، إن فيك صفات طالما تمنيتها فى الرجل الذى أختاره ، ولكن الأمر خاص بى أنا .. إن الإعجاب والتقدير وحده لايكفى لإقامة علاقة زوجية ناجحة ، قوية ، ومتينة .

طارق :

ـ تقصدين المادة .

سلوى :

ـ أقصد الحب .. لابد من وجود رباط عاطفى بين الشخصين ، اللذين سيجمع بينهما مصير وحياة مشتركة ، هذا

هو مفهومى الخاص بى والذى أختلف فيه عن (ناهد) ، وهذا الرباط يخضع لأحكام القلب ، بأكثر مما يخضع لعوامل المنطق .

طارق :

ــ ألا يمكن لو منحنا قلبينا الفرصة ، أن نجد مايقرب بينهما .

سلوى :

ــ ربما .. ولكن إذا وجدنا ذلك أو لم نجده ، لابد ألا يؤثر هذا على الصداقة القوية ، التى تربط بيننا ، فهذا هو الرباط الذى أرجو أن يبقى دائمًا .

مد لها طارق يده مصافحًا ، وهو يقول :

ــ أعدك بذلك ، فلن أجد فى هذا العالم من هى أفضل منك ، كصديقة لى .

وعندما افترقا كان هناك شىء تغيَّر ، فى أعماق كل منهما .. شىء غامض ..

* * *

٤ ــ وداعًا ياصديقتى العزيزة ..

اقتربت (ناهد) من (سلوى) ، وسألتها :

ــ هل غادر (طارق) النادى ؟

نظرت إليها (سلوى) بازدراء قائلةً :

ــ نعم .. وما الذى يعنيك بشأنه ؟ ألم تنته تمثيليتك الهزلية بعد ؟ أم أن أصدقاءك مازالوا بحاجة إلى الضحك والسخرية ؟

بدا الأسف فى عينى (ناهد) واضحًا ، وهى تقول :

ــ (سلوى) .. إننى حقيقة آسفة .. لاأعرف ما الذى دفعنى إلى التصرف على هذا النحو ؟

ردت عليها (سلوى) بازدراء قائلةً :

ــ آسفة .. أتتخذين من مشاعر الآخرين وسيلة للعبث والسخرية ، ثم تقولين آسفة ؟

ناهد :

ــ إنه هو الذى .....

قاطعتها (سلوى) فى حدة ، قائلةً :

ـــ بل أنت .. أنت التى عمدت إلى استغلال مشاعره منذ البداية .. انتهزت فرصة غيابى لتعمدى إلى إغوائه بمشاعر مزيفة ، ودفعه إلى السقوط فى شباكك .

ناهد :

ـــ (سلوى) إننى ..

لم تعطها الفرصة لتتحدث وهى تستطرد :

ـــ وفى النهاية استعرضت براعتك أمام أصدقائك ، وأنت تحولينه إلى مسخ أمامهم .

وصفقت بأيديها فى انفعال قائلة :

ـــ برافو .. لقد أديت دورك ببراعة .. أثبتِّ لأصدقائك ولنفسك أنك الفتاة التى لايشق لها غبار ، الفتاة التى تستطيع أن تتلاعب بقلوب الرجال كيفما شاءت ، وأيًا كان ذلك الرجل ، ذكيًا أو ثريًا ، خجولًا أو دون جوانًا .. والأهم من ذلك أن تثبتى لنفسك أنك تستطيعين الاستيلاء على الشخص ، الذى شعرت أنه أحبنى ، خاصة عندما عرفت أننى أكن له شيئًا من التقدير والإعجاب ، فأنت إنسانة معقدة .. عقدتك أنك عشت لفترة طويلة وسط مجتمع ، أحسست أنك لاتتساوين فيه مع الآخرين ، ومن أجل هذه العقدة المترسبة فى أعماقك

تريدين أن تؤكدى تفوقك دائما ، حتى على أقرب الصديقات إليك ، وأكثرهن إخلاصًا لك .

قالت لها (ناهد) وهى تتظاهر بالبراءة :

ـــ أكل هذا من أجل (طارق) ؟.. لم أكن أعرف أنك تحبينه كل هذا الحب .

صاحت فيها (سلوى) قائلة :

ـــ ليس للحب أى دخل فى هذا ، وإذا كان خيالك قد صور لك ذلك ، من خلال حديثى معك فى السيارة ، وحرك عقدتك لتجربى قدرتك معى على المنافسة ، فيجب أن تعرفى أن شعورى نحو (طارق) لم يتعدَ الإعجاب بخلقه ، وتقديرى الكامل لشخصه كطبيب يحترم واجبه الإنسانى ويخلص له ، وكإنسان يحمل فى أعماقه مشاعر مرهفة ، لاتعرف الزيف ولا الالتواء ، وهذا الشعور ، وإن بقى قاصرا عن أن يتحول إلى حب ، إلا أنه كان كافيًا لكى يجمع بيننا فى صداقة قوية وعميقة . لكن حتى لو لم تكن هذه الصداقة قائمة ، فلم أكن لأظل ساكنة ، وأنا أراك تستخدمين عقدتك الشريرة ، فى الإساءة لمشاعر إنسان ، كل ذنبه أنه صدق عواطفك الزائفة .

انفعلت (ناهد) بدورها قائلة :

ـ كفاك تمثيلًا لدور القديسة ، وتوزيعًا لأدوار الشر والطيبة كما يحلو لك .. إننى لا أسمح لك بترديد كلمة العقدة هذه ، كما لو كنت محللة نفسية .. إن السر الحقيقى فى ثورتك هذه ، يكمن فى شعورك بتفوّق الأنثوى عليك ، فقد كان ذلك الطبيب الخجول يحبك فى البداية ، وأيًا كان شعوره نحوك حبًا أم إعجابًا .. عاطفيًا أم مجرد صداقة ، فالحقيقة التى صدمتك وأثارت غضبك هو أنه أهملك وأخذ يلهث ورائى ، وهذا ما دفعك إلى إظهار كل هذا الحقد الكامن فى أعماقك نحوى ، ولكننى لم أعده بشىء ، وليس ذنبى أنه تصوَّر أن بعض العبارات الرقيقة والمجاملات كافية ، لكى يندفع فى عواطفه نحوى إلى هذا القدر .

رددت (سلوى) بألم :

ـ الحقد الكامن فى أعماق ؟ أهذا هو تصوّرك لصداقتى لك ؟

شعرت (ناهد) بشىء من الأسف لما قالته ، فحاولت أن تعتذر قائلة :

ـ (سلوى) .. أنا آسفة ، ولكن ..

لكن (سلوى) أدارت لها ظهرها وتركتها وانصرفت سريعًا ..

لقد تحطم ما بينهما ..

تحطم تمامًا .

* * *

لم يكن من السهل على (ناهد) أن تجد نفسها ، وقد فقدت صديقة مثل (سلوى) ، فهى الإنسانة الوحيدة التى تثق بها ، وتطمئن لوجودها فى حياتها ، ولكن كان عليها أن تفكر هل هى حقًّا الصديقة المخلصة ، التى تستحق ثقة (سلوى) ؟..

ـ لقد جاء حديثها معها ، بشأن (طارق) ، وما اشتمل عليه من مواجهة بينهما ، ليكشف عن حقيقة أشياء ربما هى نفسها تعجز عن تفسيرها فى شخصيتها ، أو ربما حاولت طمسها فى أعماقها ..

جاء حديث (سلوى) ؛ ليضعها أمام مرآة حقيقية ، كشفت لها عن وجه قبيح ، طالما حاولت أن تجمّله برؤيا زائفة ..

وتساءلت بينها وبين نفسها : هل هى حقًّا إنسانة معقدة ؟ وهل هى من ذلك النوع ، الذى يسعى لإثبات تفوقه على

الآخرين ، بأية وسيلة كانت ، وعلى حساب أى شخص كان ، حتى لو كان هذا الشخص هو أقرب الصديقات إليها ؟.. وهل تحمل فى أعماقها كل هذا الشر ، الذى صورته فيها (سلوى) ، والذى يأتى على حساب مشاعر وأحاسيس الآخرين ؟.. وهل وصلت بها الأنانية درجة ، جعلتها لاتعبأ بمشاعر الآخرين وتصبو إلى تحقيق الانتصارات ، وإثبات الذات ، على حساب جراحهم ؟..

بدت صورتها أمام نفسها مفزعة لحظات ، فأخذت تردد ، وكأنها تريد أن تتلاشى هذه الصورة الماثلة أمامها :

ـــ لا .. لا .. لايمكن أن أكون بمثل هذا الشر ، الذى تحاول (سلوى) أن تصورنى به ..

وبدت ناهد وكأنها تحاول أن تسكت صوت الضمير ، الذى كان يصرخ فيها بقسوة .. لقد كانت (سلوى) هى صوت الضمير ، الذى يبزغ أمامها من آن لآخر ؛ ليأمرها بالتوقف ، ويحول بينها وبين الاندفاع ، ولكنها فى الواقع لم تكن تريد التوقف .. إنها متأقلمة تمامًا مع شخصيتها هذه ، ولاتريد أن تضعف إزاء أية نوازع إنسانية ، تأتى صديقة مثالية ، على غرار (سلوى) ، لتذكرها بها من آن لآخر .. إن هذا لايعنى

أنها متبلدة إنسانيًا وشعوريًا تمامًا ، على ذلك النحو الذى تتخيله (سلوى) فيها .. إن لديها أيضا نوازعها الإنسانية ، ولكنها غير مستعدة أن تفرط فى استخدامها على نحو مثالى ، كما تفعل صديقتها ، فهذا يتعارض مع الطموح والتفوق ، الذى ترى أنها تستحقه ، وهى مستعدة فقط لإيقاظ هذه النوازع ، بالقدر الذى لايحول بينها وبين هذا الطموح والتفوق ، أما ما عدا ذلك فلتبق المشاعر الإنسانية نائمة وراكدة ، ولتستمر فى الطريق الذى رسمته لنفسها منذ البداية ، ومادامت (سلوى) هى إحدى العقبات التى تقف أمامها فى هذا الطريق فوداعًا لـ (سلوى) ..

وداعا للصداقة ..

* * *



٥ ـ الزائر المزعج ..

استقبلتها زميلتها فى المكتب ، بانزعاج ، قائلة :

ـ (ناهد) .. لماذا تأخرت ؟.. المدير سأل عنك عدة مرات .

قالت لها ناهد فى تعال ودون اكتراث :

ـ وماذا أفعل ؟.. لقد كان الطريق مزدحمًا ، وتلك السيارة التى أوصلنى بها (سعيد) أكثر سوءًا من سيارة (سلوى) العتيقة .

قالت لها زميلتها :

ـ حسنًا . اذهبى إليه الآن ؛ لترى ماذا يريد منك .. لقد كان عصبيًا للغاية ، وهو يسأل عنك .

ردت عليها (ناهد) متبرِّمة :

ـ ألن يتوب الله علينا من هذه الوظيفة اللعينة ؟

أجابتها زميلتها :

ـ إنك تحصلين من هذه الوظيفة اللعينة على راتب ، لا تحلم به فتاة مثلك .

قالت (ناهد) بامتعاض :

ـ وهل تسمين ما نحصل عليه ، فى نهاية كل شهر ، نقودا ؟ إنك لا تعرفين ما هى النقود الحقيقية ، وما الذى تفعله فى حياة المرء .. بالأمس كنت عند صديقة لى .. (سميرة) .. ربما سمعت عنها .. ذهبت لأهنئها على زواجها ..

لن تصدِّق يا (فاطمة) ما رأيته .. إنها تحيا تقريبًا فى قصر .. حديقة ملحقة بالمنزل .. حوض سباحة .. أحدث وسائل الراحة العصرية .. ماذا أصف لك ؟..

قاطعتها زميلتها ، وكأنها تذكرها :

ـ (ناهد) .. المدير ينتظرك .

قالت (ناهد) ساخطة ، وهى تتجه إلى باب الغرفة :

ـ حسنا .. حسنا سأذهب إليه .. لا داعى لأن تذكرينى بذلك .

لكن فجأة انفتح الباب ، لتجد نفسها وقد اصطدمت بكتفى شاب طويل ، عريض المنكبين ، تبدو عليه سمات الوسامة والاعتزاز بالنفس ، فتراجعت عدة خطوات ، وهى تصيح فيه غاضبة :

ـ ما هذا ؟.. ألم يعلمك أحد أن تطرق الأبواب أولا ، قبل أن تقتحم الحجرات هكذا ؟

لكنها سرعان ما أمسكت عن الكلام ، عندما رأت مديرها ، وهو يتبعه داخل الغرفة قائلا :

ــ تفضل يا (عادل) بك .

ثم حدجها بنظرة قاسية ، وهو يقول :

ــ لماذا تأخرت يا آنسة (ناهد) ؟

تلعثمت قائلة :

ــ لقد .. لقد عطلتنى المواصلات ياسيدى .

نظر إليها شذرا ، قائلا :

ــ ألم تخبرك (فاطمة) أننى أريدك فى مكتبى ؟

قالت (ناهد) :

ــ نعم ياسيدى .. لقد كنت فى الطريق إليك .. عندما .. عندما ..

ابتسم الشاب ، ذو الشعر الأسود الفاحم ، والمنكبين العريضين ، وهو يتفحصها من أخمص قدميها إلى قمة رأسها ، قائلا بصوت رزين هادئ النبرات ، وكأنه يكمل جملتها :

ــ عندما اصطدمت بشخص ، لم يعلمه أحد أن يطرق الأبواب أولا ، قبل اقتحامها .

قال له مدير الشركة ، وهو مستمر فى توجيه نظراته النارية إلى (ناهد) :

ــ إننى هنا المدير العام للشركة ، وعندما أدعو ضيوفى وعملائى إلى دخول إحدى الحجرات ، فمن حقى أن أفعل ذلك كيفما أشاء ، ودون استئذان من موظفى الشركة .. أليس كذلك يا آنسة (ناهد) ؟

احتقن وجه (ناهد) ، وقد ساءها هذا القول ، خاصة أنه جاء أمام هذا الشخص الغريب ، ولكنها لم تحر جوابا ، وزاد من غضبها ونقمتها أنها رأت الابتسامة ، على وجه ذلك الشاب ، وقد ازدادت اتساعا ، وكأنه يسخر منها ، من هذا الموقف الذى وجدت نفسها فيه ، فى حين أردف مدير الشركة قائلا :

ــ (عادل) بك جاء ممثلا لشركة (الوادى لتصدير الحاصلات الزراعية) ، وهو يرغب فى الاطلاع على تصميمات الأغلفة ، الخاصة بصناديق التعبئة فى شركتنا .. إنها لديك ، أليس كذلك ؟

أومأت برأسها قائلة :

ــ بلى .. إنها فى درج مكتبى .

وأسرعت بفتح حقيبتها ؛ لإحضار مفاتيح المكتب ، فى حين وقف المدير ، والشاب الذى جاء بصحبته ، فى انتظارها ، وأخذت (ناهد) تقلب فى حقيبتها ، بحثا عن المفاتيح ، وهى تلقى بأشيائها فوق المكتب بعصبية ، ثم أخذت تردد فى حيرة :

ــ أين ذهبت تلك المفاتيح ؟ لقد وضعتها فى الحقيبة بنفسى هذا الصباح ، قبل أن أغادر المنزل ..

نظرت إلى مديرها بخجل قائلة :

ــ إننى لا أجدها .

هتفت زميلتها قائلة :

ــ (ناهد) .. أليست هذه هى مفاتيحك ؟

نظرت (ناهد) إلى المفاتيح ، التى ألقت بها فوق مكتب زميلتها ساعة دخولها ، ثم اندفعت لتأخذها ، وهى تتنفس الصعداء ، قائلة وهى تواجه المدير بوجه خجل :

ــ حمدًا لله .. لقد نسيت أننى كنت أحملها فى يدى عندما ..

وسرعان مابترت عبارتها وهى ترى نظرة الضيق والتأفف على وجهه الغاضب ، فأسرعت بفتح درج مكتبها ، وقد انعكس على وجهها حالة من التوتر الشديد ، زادته تلك الابتسامة الساخرة ، التى يواجهها بها هذا الشاب ، الذى جاء برفقة مدير الشركة ، وكأنه سعيد بالموقف الحرج الذى تواجهه ، وفتحت الدرج ، وأخذت تقلّب محتوياته فى عصبية ، بحثًا عن (كتالوج) التصميمات ، وفجأة توقفت عن البحث ، وكادت تبكى ، وهى تصرخ قائلة :

ــ اللعنة !! ماالذى حدث لى اليوم ؟ أين (كتالوج) التصميمات ؟

انفعل مدير الشركة قائلًا :

ــ أتسألينني أنا ؟! يالها من دعاية طيبة ، تلك التى تقدمينها عن شركتنا ، أمام أحد عملائها .

ثم تحوّل إلى الشاب معتذرًا ، وهو يقول :

ــ أنا آسف يا (عادل) بك .. ولكن تأكد أن شركتنا تضم عددًا من الموظفين الممتازين ، ليسوا على شاكلة هذه الموظفة المهملة ، فلاتدع ماحدث يعطيك انطباعًا سيئًا عنّا .

واحتقنت عينا (ناهد) بالدموع ، وقد أحست أنها على وشك الانفجار ، لتلك الإهانة التى لحقت بها ، لكن الشاب بدا مدركًا للموقف ، وهو يقول للمدير بنبرات هادئة :

ــ لاأعتقد أن الآنسة (ناهد) قد أهملت فى شىء ، ولكن أظن أن حضورنا المفاجئ ، والاستعجال فى طلب التصميمات ، قد أربكها بعض الشىء .

ثم تحرك نحو المكتب الذى اتكأت (ناهد) عليه ، وقد أطرقت برأسها إلى الأرض ، حتى لايلحظ أحد الدموع المختنقة فى عينيها ، قائلًا بنفس النبرة الهادئة والابتسامة على وجهه :

ــ هل تسمحين لى ؟

تحركت (ناهد) بضع خطوات عن الدرج المفتوح ، بعد أن حدجته بنظرة تنم عن غيظ مكتوم ، وفتح هو الدرج لأقصى اتساعه ، وهو يزيح بعض الأوراق بداخله ، ثم لم يلبث أن تناول (كتالوجًا) صغيرًا ، كان موضوعًا أسفل الأوراق ، وقدّمه لها ، قائلًا بعد أن تصفّح بعض صفحاته :

ـــ أظن أن هذا هو (الكتالوج) المطلوب .. أليس كذلك ؟ أمسكت (الكتالوج) ، وهى تحدّق فيه فى دهشة ، ثم مالبثت أن ازدادت غيظًا وغضبًا ، وهى تنظر إلى وجهه الساخر المبتسم ، وقالت محاولة إخفاء مشاعرها الغاضبة :

ـــ نعم .. إنه هو .

والتفت الشاب إلى مدير الشركة ، قائلًا :

ـــ تفضل أنت لتعود إلى مكتبك يا (نظمى) بك ، ريثما تطلعنى الآنسة على تصميمات الأغلفة .

قال له مدير الشركة ، وهو يرمق (ناهد) شذرًا :

ـــ يمكنك أن تطلع عليها فى مكتبى لو أردت يا (عادل) بك .

لا داعى لذلك .. الأمر لن يستغرق بضع دقائق ، ثم سألحق بك فى حجرتك ؛ لأطلعك على التصميم الذى استقرّ رأيى عليه .

مدير الشركة :

ـــ حسنًا .. سأكون فى انتظارك .

ثم نظر إلى (ناهد) وقد تبدلت نبرات صوته ، لتنم عن الغضب ، قائلًا :

ـــ بعد أن تطلعى (عادل) بك على التصميمات ، لا تبارحى مكتبك ، فلى معك حديث آخر .

ثم غادر الغرفة مغلقًا بابها خلفه ، ولم يكد ينصرف ، حتى ألقت (ناهد) (الكتالوج) فوق مكتبها ، وهى تتهالك فوق المقعد الذى يواجهه ، وقد أسندت جبينها إلى يديها ، فى حين ظلّ (عادل) واقفًا فى مكانه ، وهو ينظر إليها ، فتداركت زميلتها الموقف وأسرعت نحو (عادل) ، قائلةً وهى تشير إلى أحد المقاعد :

ـــ تفضلّ يا (عادل) بك .

جلس (عادل) وهو يشعل لنفسه سيجارة ، دون أن يرفع عينيه عن (ناهد) ، وفى هذه المرة كان التعبير المرتسم على وجهه أكثر جدية واهتمامًا ، وسألته زميلتها قائلةً باحترام :

ـــ ماذا تشرب يا (عادل) بك ؟.

قال لها (عادل) ، دون أن يحول عينيه عن (ناهد) :

ـــ أشكرك .

نقلت الفتاة بصرها بين (عادل) و(ناهد) ، قائلةً وقد أدركت بغريزتها مدى اهتمامه بها :

ــ لايصح يا(عادل) بك .. أنت ضيفنا .

تحول إليها مبتسمًا وهو يقول :

ــ حسنًا .. فنجان قهوة مضبوط لو سمحت .

أخذ (عادل) نفسًا من سيجارته ، وهو يرقب انصراف الفتاة من الحجرة ، ثم قال لها بصوت هامس :

ــ آسف لما حدث .. لو كنت أعلم أننى سأتسبب لك فى شىء من الحرج ، ما كنت قد ..

لكنها قاطعته ، وهى تلتفت إليه فى حدة ، قائلةً :

ــ لقد جئت من أجل الاطلاع على التصميمات .. أليس كذلك ؟

وأمسكت (الكتالوج) ، لتدفعه بين يديه فى عصبية ، قائلة :

ــ حسنًا .. هاهوذا (الكتالوج) .. اختر الغلاف الذى يناسبك .

عاد يبتسم تلك الابتسامة المستخفة ، قائلًا :

ــ هل تعرفين أنك جميلة للغاية ، حتى وأنت منفعلة هكذا ؟.

نظرت إليه بعين متنمرة ، قائلةً :

ــ إنك لم تأت إلى هذه الشركة من أجل أن تسمعنى كلمات الغزل .. أليس كذلك ؟

قال دون أن تفارق الابتسامة وجهه :

ــ ربما كان هذا صحيحًا ، قبل أن تقع عيناى عليك .. ولكن منذ أن رأيتك أصبح ما جئت من أجله أقل أهمية .

هبت واقفة ، وهى تقول فى عصبية :

ــ كيف تجرؤ ؟

وفى تلك اللحظة دخلت زميلة (ناهد) إلى الحجرة ، قائلةً :

ــ القهوة قادمة يا (عادل) بك .

لكنه نهض من مقعده ، قائلًا :

ــ سأشربها فى وقت آخر .

قالت معترضة :

ــ ولكن ..

لكن (عادل) أعاد (الكتالوج) إلى (ناهد) ، قائلًا :

ــ أعتقد أن شركتنا ستحتاج إلى تصميم مختلف ، لغلاف جديد خاص بنا ، دون الاعتماد على هذه التصميمات ، وعلى كل حال أشكرك ياآنسة (ناهد) ، على ما بذلته من جهد .

وأومأ برأسه إلى الفتاة الأخرى ، قائلًا :

ــ أشكرك على اهتمامك بى .. لقد كنت كريمة معى للغاية .

قالت له الفتاة وهي تتأمله بإعجاب :

ــ إننى لم أفعل شيئًا .

سرعان ما غادر الغرفة ، مغلقًا الباب خلفه ، دون أن يلتفت إلى (ناهد) ، التى ازدادت ثورتها ، لتسببه لها فى كل هذا الحرج ، دون أن يلقى نظرة واحدة على (الكتالوج) ، واندفعت فى ثورتها لتلقى (الكتالوج) فى انفعال ، ليصطدم بالباب إثر خروجه . وفجأة عاد الباب يُفتح من جديد ، وأطلّ وجه (عادل) من خلفه ، بابتسامته الساخرة قائلًا :

ــ آسف .. لقد نسيت أن أطرق الباب مرة أخرى .. يبدو أنه سيكون أمامى بعض الوقت ، للإقلاع عن هذه العادة السيئة .. لقد جئت فقط لأخبرك بأنه لاداعى للقلق من أجل المدير ، فسوف أسوى الأمر معه ؛ ليصفح عنك .

زادتها كلماته انفعالًا ، فهمت بأن تقول شيئًا ، ولكنها لم تجد ماتقوله ، ممازادها عصبية ، وانعكس ذلك على اهتزاز ساقها فى حركة سريعة ، فى حين زاد (عادل) من غيظها ، وهو ينظر إلى الأرض ، ملقيًا نظرة على (كتالوج التصميمات ، ثم تطلّع إليها قائلًا :

ــ هل سقط منك شيء ؟

وتناول الكتالوج ؛ ليعيد تقديمه إليها ، قائلًا :

ــ أرجو أن تحافظى على أوراق الشركة ، حتى لا تتسبّبى فى إغضاب المدير منك مرة أخرى .

قالت باستخفاف مصطنع :

ــ أشكرك على هذه النصيحة الغالية ، وأحبّ أن أقول لك شيئًا : إننى لست بحاجة إلى توصيتك لدى المدير .

قال لها باستخفاف مماثل :

ــ إننى فى خدمتك دائمًا .. كما أننى لا أستطيع التخلى عنك ، فى مثل هذا الموقف ، خاصة وأنا أرى الحالة السيئة ، التى تبدين عليها .. اطمئنى .. سأعالج الموقف مع المدير .

ثم تركها وانصرف ، مغلقًا الباب خلفه ، وعادت هى تطيح بـ (الكتالوج) ليصطدم بالباب المغلق مرة أخرى ، وهى فى أشد حالات الانفعال والغيظ ، فى حين انطلقت ضحكات زميلتها عالية ، بعد أن عجزت عن كبتها أكثر من ذلك ..

لقد فهمت ..

فهمت مالم تفهمه (ناهد) ..

لأوّل مرة ..

* * *

٦ ـ خائفة من الحب ..

أسرعت (ناهد) نحو إحدى صديقاتها ، قائلةً وهى تمسك بيدها مضرب التنس :

ـ (فايدة) .. لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟

أجابتها (فايدة) قائلةً :

ـ معذرة يا (ناهد) .. لقد حضرت إلى النادى خصيصًا ، لكى أعتذر لك عن عدم قدرتى على مشاركتك لعب التنس اليوم ؛ إذ ارتبطت بموعد هام ، يتعيَّن علىّ الذهاب إليه الآن .

قالت لها (ناهد) بأسف :

ـ لقد كنت أمنى نفسى بمباراة قوية معك .

وسألتها صديقتها قائلةً :

ـ ألا يوجد أحد من أفراد مجموعتنا هنا ؟

ناهد :

ـ مع الأسف .. لايوجد سوى (سامح) و(ضياء) ، وكلاهما لايجيد اللعب .

اعتذرت صديقتها قائلةً :

ـ على كل حال ، سنعوض هذه المباراة فى الأسبوع القادم .. والآن ائذنى لى .. فقد تأخرت عن موعدى .

ولوحت لها ، وهى تنصرف ، قائلةً :

ـ وداعًا .

ـ وقفت (ناهد) تلوِّح لها بضيق ، والمضرب فى يدها ، ثم لم تلبث أن سمعت صوتًا ، يسألها قائلًا :

ـ ألا يمكننى أن أحل محل صديقتك ؟

شعرت بالدهشة وهى تنظر فى اتجاه الصوت ، وقد بدا لها أنها تعرف صاحبه ..

لقد كان هو نفسه ذلك الشاب ، الذى أثار غضبها ونقمتها ، عندما حضر إلى مكتبها بصحبة المدير ، منذ يومين ، فقالت له فى حدة :

ـ أنت مرة أخرى .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ابتسم (عادل) قائلًا :

ـ تحريت فعرفت أنك مشتركة فى هذا النادى ، وجئت لمقابلتك .

ناهد :

ــ وكيف سمحوا لك بالدخول ؟

عادل :

ــ هذه ليست بمشكلة .. إن لى بعض العلاقات ، التى تسمح لى بالدخول إلى العديد من النوادى .

وصمت قليلًا ثم قال :

ــ والآن .. هل ستجعليننى أشاركك اللعب ؟

قالت (ناهد) بغضب :

ــ هل تظن نفسك ظريفًا ؟

احتفظ (عادل) بابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ــ البعض يقول عنى ذلك .. ولكن ماعلاقة هذا بلعب التنس ؟

هدأت قليلًا ، وهى تقول بتحدٍّ :

ــ لاأعتقد أنك تستطيع أن تجارينى فى اللعب .

هز كتفيه ، قائلًا باستخفاف :

ــ فلتجربينى إذن .

ازدادت نبرة التحدى فى صوتها ، وهى تقول :

ــ حسنًا .. أحضر مضربك ، وتعال إلى الملعب .

عادل :

ــ بشرط ..

ناهد :

ــ وماهو ؟

عادل :

ــ إذا هزمتك ستسمحين لى بدعوتك إلى الغداء .

ابتسمت (ناهد) قائلةً :

ــ حسنًا .. وأنا متأكدة أنك لن تنال شرف الفوز بهذه الدعوة أبدًا . وما أن انتهت مباراة التنس ، حتى بادرها قائلًا :

ــ أعتقد أنك لن تستطيعى الهروب من دعوتى الآن ، بعد أن فزت عليك ؟

ابتسمت قائلةً :

ــ لم أكن أعرف أنك تجيد اللعب بهذه البراعة .. ماذا أقول ؟.. أعتقد أنه لم يعد ثمة مجال للتراجع الآن .

عادل :

ــ حسنًا .. سأبدل ثيابى وألحق بك .

* * *

سألته وهما يتناولان طعام الغداء :

ــ هل استقر الأمر على التعاقد بين الشركة التى تمثلها وشركتنا ، بشأن صناديق التعبئة ؟

عادل :

ـ نعم .. أعتقد أننى قد توصلت إلى اتفاق مرضٍ ، مع رئيس المؤسسة ، التى تعملين بها ، وسوف يتم التعاقد خلال يومين على الأكثر .

تأملته وهى تضع قطعة اللحم الصغيرة بين شفتيها ..

كانت كما لو كانت تراه لأول مرة ..

إنه يتميَّز بصفات تستحق إعجاب أية فتاة ، فهو وسيم .. ذو شخصية جذابة ، تتميَّز بالثقة والنضوج ، كما أنه يتمتع بخفة ظل ، ولديه قدرة فائقة على التعامل مع المواقـف الحادة ، ومواجهة انفعالات الآخرين بحنكة وبراعة ..

وتعجَّبت كيف أنها لم تر فيه هذه الصفات من قبل ؟.. وكيف بدت لها هكذا مرة واحدة ؟..

إنه يختلف تمامًا عن كل من عرفتهم من قبل ، ويبدو على النقيض من كل تلك المجموعة من الشبان ، الذين يحيطون بها فى النادى ، وفى الحفلات الراقصة .. إنه يبدو بالنسبة لها رجلًا بمعنى الكلمة ..

وأخذت تسائل نفسها عما إذا كانت قد أعجبت بهذا الشاب ، وسألته وهى مازالت تتأمله :

هل تعمل مندوبًا لدى الشركة ، التى تنوى التعاقد معنا ؟

أجابها بابتسامته الجذابة :

ـ إننى أتولى شئون الإدارة فى شركة (الوادى للتصدير والاستيراد) .

ناهد :

ـ إذن فأنت المدير لهذه الشركة ؟

مط (عادل) شفتيه قائلًا :

ـ تستطيعين أن تقولى هذا ، فالحقيقة هى أننى أتقاسم شئون الإدارة مع صاحب الشركة ، خاصة وأننا أقارب .

ردَّدت (ناهد) قائلةً :

ـ أقارب ؟!

عادل :

ـ نعم فصاحب الشركة ابن خالى ، وقد عهد إلىَّ بمشاركته فى إدارة الشركة ؛ لثقته الكبيرة فى شخصى ، ولانشغاله فى العديد من المشروعات والأعمال الأخرى ، التى يديرهـا لحسابه .

بدا الاهتمام على وجه (ناهد) ، وهى تسأله قائلةً :

ـ لابد أن ابن خالك هذا ثرى جدًا .

عادل :

ــ (حاتم) ؟!. إنه واسع الثراء .. تستطيعين أن تقولى إنه مليونير ، يوشك على الدخول فى قائمة المليارديرات .

استيقظت حواس (ناهد) الواسعة الطموحة ، لدى سماعها هذا ، فعادت تسأله قائلة :

ــ لابد أن ابن خالك هذا كهل متقدم فى السن .

عادل :

ــ بالعكس إن (حاتم) لم يتجاوز الثانية والأربعين من عمره ، فهو لايكبرنى إلا بعشر سنوات فقط .

ناهد :

ــ وكيف استطاع أن يجمع هذه الثروة الضخمة ، وهو مازال فى هذه السن ؟

عادل :

ــ (حاتم) شاب مجتهد .. لقد سافر إلى الخارج ، واستطاع أن يجمع مبلغا لابأس به ، ثم تمكن بعرقه واجتهاده من تنميته واستثماره ، فى عدد من المشروعات ، التى درّت عليه أرباحا كبيرة ، وهكذا ، حتى وصل إلى ماهو عليه .

ابتسمت (ناهد) قائلة :

ــ واضح أنك تحبه .

عادل :

ــ إنه بالنسبة لى ليس مجرد ابن خال ، أو صاحب المؤسسة التى أعمل بها .. تستطيعين أن تقولى إنه بمثابة أخ عزيز وصديق غال ، ومثل أعلى أحترمه وأقدره .

ناهد :

ــ وهل هو متزوج ؟

عادل :

ــ مع الأسف كلا .. لقد أخذته دوامة العمل والحياة ، فلم يفكر فى الزواج ، بالإضافة إلى أنه له رأى فى المرأة ، أخشى أن أصرّح لك به .

ناهد :

ــ يمكنك أن تصرّح به ، دون أن تخشى شيئا ، فأنا الآن فى حالة نفسيه طيبة .

عادل :

ــ لقد كان رأيه دائما أن المرأة معطّلة .

ردّدت (ناهد) بدهشة قائلةً :

ــ معطّلة ؟!.

عادل :

ـ نعم .. فهو يرى أن الرجل ، الذى يريد أن ينجح فى عمله ، عليه أن يبعد المرأة عن حياته ، ويرى أن الشخص ، الذى قال : إن وراء كل عظيم امرأة ، شخص كاذب ومخادع .

أطلقت (ناهد) ضحكة عالية ، وهى تقول :

ـ ياله من رجل ابن خالك هذا !! إنه يبدو أمامى ، بآرائه المبكر ، ونظرياته فى الحياة ، كما لو كان أحد الشخصيات الروائية .

تأمّلها (عادل) بعينين تشفّان عن إعجاب بالغ ، وهو يقول :

ـ ألا ترين معى أننا قد تحدّثنا عن ابن خالى ، بأكثر مما يجب ؟

سكنت اسارير وجهها قليلًا ، وهى تعود لتأمّله بدورها ، وكأنها ارتدّت إليه من جديد ، قائلة :

ـ معك حق .. ولكن فيم تريد أن نتحدّث ؟

عادل :

ـ حدثينى عن نفسك .

ناهد :

ـ وهل يهمك هذا كثيرًا ؟

قال لها بجدية :

ـ (ناهد) .. إننى أهتم بك بالفعل .. ألا تلاحظين ذلك ؟

شعرت (ناهد) بخدر يسرى فى عروقها ، عندما لامست أنامله أصابعها ، فأسلمت يدها إليه ، وقد داخلها خوف خفى ، لاتدرى كنهه ..

لقد أحسّت منذ الوهلة الأولى ، بأن لقاءها به لم يكن لقاءً عاديًا ، وهذا الإعجاب ، الذى شعرت به نحوه منذ لحظات ، أخذ فى التحول بسرعة فائقة إلى ماهو أكثر من الإعجاب ، وهذا هو ماتخشاه أكثر من أى شىء آخر .. تخشى أن تكون هذه هى أولى بوادر الحب ..

وكما أن ابن خاله يرى فى المرأة عائقًا أمام الطموح ، فهى ترى نفس الشىء فى تلك العاطفة ، التى تستولى على قلوب البشر ، وتخضعهم لأهوائها .. عاطفة الحب ..

إن الإعجاب شىء مقبول ومرغوب فيه ، لكن الحب أمر آخر ..

وأثبتت لها الأيام التالية صدق مخاوفها ..

فـ (عادل) يقترب من قلبها سريعًا ، فى حين هو أبعد مايكون عن عقلها ، وعن الرجل الذى رسمته فى خيالها بالنسبة للمستقبل ، فهو لايملك الثراء ولا الطموح المادى ، الذى تحلم به .. إنه من ذلك النوع الذى يقنع بدور المدير الإدارى ، دون أن يحاول الحصول على ماهو أكثر من ذلك ..

كان قلبها يخفق بشدة كلما تقابلا ، فى حين أدمنت عيناها صورته ، حتى فى تلك الأوقات التى لا يتقابلان فيها ، لكن هذا لم يكن يمنعها من أن تردّد لنفسها ، وهى تسير إلى جواره :

ليته كان يتبوأ مكان ابن خاله ، هذا الذى روى لى عنه .

كان قلبها ينسحب فى اتجاهه ، أما عقلها فقد كان رافضًا تمامًا فكرة أن يتخلى عن حلم طموحه ..

وبدأ الصراع يحتدم بين الاثنين .. وكل منهما ينتزع معه جزءًا منها فى اتجاه عكسى ..

صراع بين القلب ..

والعقل .

* * *

٧ ـــ الصدق فى عينيك ..

فُتح الباب الجانبى ، فى حجرة مدير شركة (الوادى) ، وأقبلت السكرتيرة نحوه قائلةً :

ــ معذرة يا (عادل) بك ولكن ..

قاطعها قائلًا ، وهو مستغرق فى الأوراق الموضوعة أمامه :

ــ لا أريد إزعاجا .

لكنها قالت له متجاهلة اعتراضه :

ــ الآنسة (سلوى) ترغب فى مقابلتك

فحدّق فى وجهها قائلًا :

ــ الآنسة (سلوى) ؟ من تكون هذه ؟

السكرتيرة :

ــ إنها الموظفة ، التى تعمل فى مؤسسة (العادلى للتغليف والتعبئة) ، والتى طلبت سيادتك السماح لها بمقابلتك هذا الصباح .

بدا أنه قد تذكَّر ، فقال لها :

ــ آه .. دعيها تدخل .

وبعد لحظات دخلت (سلوى) ، وعلى وجهها ابتسامة صغيرة هادئة ، ووقف (عادل) لمصافحتها ، وعرّفته (سلوى) نفسها ، وهى تصافحه قائلةً :

ـ (سلوى نظمى) ، موظفة العقود بشركة (العادلى) .

دعاها (عادل) للجلوس ، وهو يتأمل قسمات وجهها الهادئ ، الذى يبعث على الارتياح ، ويبعث فى النفس شيئًا من الصفاء ، واتخذت (سلوى) مجلسها ، على المقعد المواجه لمكتبه ، وهى تبدأ فى ممارسة عملها ، على نحو عملى سريع ، حيث فتحت حقيبتها ، وبدأت فى إخراج بعض الأوراق والمستندات من داخلها ، قائلةً :

ـ لقد أحضرت لسيادتك الصيغ النهائية للعقود ، التى سيتم إبرامها بين المؤسستين .

تابع (عادل) حركة يديها وأصابعها الرقيقة ، وضاقت حدقتاه ، وبدا الاهتمام واضحًا على وجهه ، وعندما رفعت (سلوى) عينيها عن الحقيبة ، بعد أن تناولت ما بها من أوراق ، تنبهت لذلك التعبير المرتسم على وجهه ، والذى يعكس مدى اهتمامه بها ، فقدمت له أوراق العقود ، وقد اعتراها شىء من الاضطراب ، لكنه وضع الأوراق على المكتب أمامه

بلامبالاة ، دون أن يحاول فحصها ، وعيناه مازالت تحدقان فيها ، إلى أن سألها قائلًا :

ـ ألم نلتق من قبل ؟

قالت فى استحياء :

ـ ربما فى تلك المرة ، التى حضرت فيها سيادتك إلى شركتنا ، عندما دخلت لتقديم بعض الأوراق لمدير الشركة .

هز رأسه قائلًا :

ـ كلَّا .. لقد رأيتك فى ذلك النادى .. نعم لقد تذكرت الآن .. أنت تلك الفتاة ، التى تفضل العزلة وقراءة الكتب .. لقد استرعيت انتباهى ، فى المرات القليلة التى ذهبت فيها إلى هناك ..

أطرقت (سلوى) برأسها ، وهى تحدّق فى البساط المفروش على الأرض ، قائلةً :

ـ من المستغرب أن تسترعى انتباهك فتاة بسيطة مثلى ، مع أنك كنت مشغولًا طوال الوقت بصحبة الآنسة (ناهد) .

ابتسم قائلًا :

إذن فقد كان لى نصيب أن أحظى ببعض اهتمامك أنا الآخر .

رفعت (سلوى) وجهها قائلةً برصانة ، وهى تشير إلى أوراق العقود ، الموضوعة أمامه على المكتب :

ــ العقود ياسيِّد (عادل) .. إنك لم تطلع عليها .

قرأ (عادل) بنود العقد ، وأخذ يضيف بعض السطور بالقلم الرصاص ، فى مواضع مختلفة ، فى حين انتهزت (سلوى) فرصة اهتمامه بأوراق العقد ، لتختلس النظر إليه ، وتتأمله ..

كان عليها أن تعترف لنفسها ، بأن ذلك الشاب الجالس أمامها يملك الكثير من مقومات الجاذبية ؛ فهو جذاب حين يبتسم .. وجذاب حين يكتسى وجهه بتلك الملامح الرجولية الجادة ، فى أثناء اهتمامه بعمله ..

وسرعان ماهزت رأسها بقوة ، وكأنها تنفض عن نفسها ذلك الإعجاب المفاجئ ، الذى تملكها نحوه ، وانتهى (عادل) من مراجعة أوراق العقد ، فرفع عينيه عن الأوراق ، وهو يعود إلى النظر إليها قائلًا :

ــ حسنًا .. ها نحن أولاء قد انتهينا .

وقدم لها نسخة من العقد ، قائلًا :

ــ هذه هى بعض الملاحظات ، والبنود المطلوب إضافتها للعقد ، قبل التوقيع النهائى ، ستراجعينها مع المدير المسئول فى شركتكم ، ثم تأتين بها إلىَّ مرة أخرى ؛ لعرضها على رئيس المؤسسة .

ثم ابتسم قائلًا :

ــ إننا نتعبكم معنا بعض الشىء ، ولكننا مقبلون على صفقة كبيرة ، وهناك بعض الأمور الدقيقة ، التى يجب أن تكون واضحة ، فى التعامل بيننا .

هزت رأسها ، وهى تتأهب للانصراف ، قائلة :

ــ تحت أمرك ياسيِّد (عادل) :

ــ ولكنه أشار لها بأن تظل جالسة ، قائلًا :

ــ إنك لن تذهبى قبل أن تتناولى شيئًا .. هل تفضلين الشاى أم عصير فواكه طازجًا ؟

قالت تشكره :

ــ أشكرك يا (عادل) بك ... إننى ..

لكنه قاطعها قائلًا :

ــ سأحضر لك عصير فواكه .

وضغط على الزر الموضوع أمامه ، قائلًا لسكرتيرته :

ــ عصير برتقال يا (سامية) من فضلك .

سلوى :

ــ لاداعى يا (عادل) بك .

لكنه فاجأها بالسؤال ، قائلا :

ــ إنك زميلة (ناهد) ، ولابد أنك تعرفينها جيدًا .. أليس كذلك ؟

أجابته بعد لحظة صمت :

ــ لقد كنا صديقتين .

قال باهتمام :

ــ أولم تعودا كذلك ؟

قالت بصوت خافت :

ــ إننا الآن مجرد زميلتين فى الشركة .

عادل :

ــ وما الذى باعد بينكما ؟

سلوى :

ــ مجرد اختلاف فى وجهات النظر .

عادل :

ــ إن اختلاف وجهات النظر لايفسد الصداقات .. وعلى كل فأنا لاأريد أن أتدخل فى أمور شخصية بينكما ، ولكنى أريد أن أطرح عليك سؤالًا وأريد منك أن تجيبينى عليه بمنتهى الصدق .

تطلعت إليه (سلوى) بدهشة ، قائلةً :

ــ وماهو ؟

عادل :

ــ مارأيك فى (ناهد) ؟

ازدادت دهشتها ، وهى تسأله بدورها :

ــ من أية زاوية ؟

نهض من وراء مكتبه ، وعقد يديه خلف ظهره ، وهو يتحرك بضع خطوات داخل الغرفة ، ثم مالبث أن قال بكلمات متأنية :

ــ إننى أفكر فى الاقتران بها .

صمتت (سلوى) قليلًا ، وقد احتواها شعور مبهم بالضيق والحيرة ، ثم عادت تسأله قائلةً :

ولماذا طرحت علىّ أنا هذا السؤال ؟

جلس فى المقعد المواجه لها ، قائلًا :

ــ ألم تقولى إنك كنت صديقتها ؟ أى أنك تعرفينها جيدًا

وفى تلك اللحظة فُتح باب الغرفة ، ودخل أحد الأشخاص حاملًا صينية صغيرة ، عليها كوب العصير ، ووضع الكوب أمام (سلوى) ، ثم انصرف ، وأتاح لها هذا فرصة لتجاهل السؤال ، ولكن (عادل) عاد يلحّ عليها ، قائلًا وهو يتبسط معها :

ــ (سلوى) .. أريد أن تتجاهلى أوضاع العمل والرسميات المحيطة بنا .. بل تتجاهلى أيضًا أنه الحديث الأول ، الذى يدور بيننا ، دون تعارف مسبق ، فلدى إحساس غريب ، منذ أن رأيتك ، أنك إنسانة تستحق أن تكون موضع ثقة ، وليتك تعتبريننى صديقًا .

ارتبكت (سلوى) أمام كلماته ، ووَدّت لو أنها لم تكن جالسة الآن أمامه ، وهو يحاصرها بذلك التقارب المفاجئ ، لكنه عاد ليقول :

ــ (سلوى) .. إننى أشعر بشىء من العاطفة تجاه (ناهد) ، ولكننى لا أخفى عليك تخوفى من طباعها ، التى تبدو لى فى بعض الأحيان خارجة عن المألوف ، وتتسم بشىء من الاستهتار والغرور ، هذا بالإضافة لما أحسسته فى أفكارها من تطلعات مادية ، تجعلنى غير واثق من تلك العاطفة ، التى

صارحتنى بها ، ولا أخفى عليك أيضًا أننى سمعت الكثير من الأحاديث بشأنها فى النادى ، لكننى لم أهتم بها كثيرًا ؛ لذا فأنا بحاجة لرأى صريح بشأنها ، من إنسانة توسّمت فيها الثقة والصدق ، منذ الوهلة الأولى .

هبّت (سلوى) واقفة ، وهى تقول :

ــ أستاذ (عادل) .. أعفنى من إبداء هذا الرأى ، فكما أخبرتك ، هناك الآن بعض الخلاف بيننا ، وقد يؤثر هذا الخلاف على حيدة رأيى .

وقف عادل مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ لا .. لا أظن أن مثلك يمكن أن يدفعه الخلاف ، بينه وبين الآخرين ، إلى التخلى عن الأمانة فى قول الصدق عنهم ، ومع ذلك فلن أضغط عليك أكثر من هذا ، مادمت لا تريدين إبداء رأيك بشأنها .

وجدت فى نفسها الجرأة ؛ لتنظر إليه قائلة :

ــ أليس من الغريب على رجل مارس الحياة العملية مثلك ، أن يمنح ثقته لإنسانة ، يلتقى بها لأول مرة ، اعتمادًا على الإحساس ؟..

ألا يمكن أن تكون مخطئًا فى تقديرك لى ؟

ظل محتفظًا بابتسامته الصافية ، وهو يقول :

ـــ الحياة العملية ليست مجرد حسابات ودراسات ومعاملات مادية ، فالرجل الذى خبر الحياة حقًا ، وتمرّس على التعامل مع أنواع مختلفة من البشر ، يمكنه بعد فترة من الوقت الاعتماد على أحاسيسه ، فى التمييز بين الزيف والحقيقة ، فى وجوه من يلتقى بهم ، وغالبًا ، يكون إحساسه صحيحًا ..

وفتاة مثلك أشبه بمرآة صافية ، لايحتاج المرء معها إلى الكثير من الجهد ، ليتبين حقيقة معدنها .

تضرّج وجهها بالاحمرار مع كلماته ، فى حين تابع هو حديثه قائلا :

ـــ ومع ذلك فهناك نوعيات من البشر لاتستطيعين إبداء رأى قاطع بشأنهم .. إنه ذلك النوع المحيّر الغامض ، الذى تنعدم قدرة المرء إزاءه على التمييز ، مهما أوتى من خبرة ، ومن أمثال ذلك النوع صديقتك (ناهد) .

قالت (سلوى) بهدوء :

ـــ ذلك لأنك تحبها ، كما صرحت لى الآن ، فالعواطف تحول بيننا وبين إبداء الرأى الصحيح فيمن نحب ، بل ربما كان لدينا ذلك الرأى القاطع بشأن من نحبه ، لكننا نخشى أن نصرح به ، حتى لأنفسنا ، خشية أن نجد أنفسنا مضطرين لفقده .

عادل :

ـــ هل تقصدين ..

قاطعته قائلةً :

ـــ إذا أزحت العاطفة جانبًا ، فلن تكون بحاجة إلى رأيى أو رأى أى شخص آخر ، بشأن (ناهد) .

مرّت بينهما برهة من الصمت ، قطعتها (سلوى) ، وهى تحاول أن تتجه بالحديث بينهما إلى وجهة أخرى :

ـــ يمكننى طرح تلك التعديلات ، التى اقترحتها ، بالنسبة لبنود العقد ، على المدير ، من خلال التليفون ، وأعتقد أنه لن يمانع فى هذا ، فهو يريد تسوية الأمر على نحو سريع ..

هل تسمح لى باستخدام التليفون ؟

لكنها فوجئت به يقول فى حسم :

ـــ لا .

حدقت فيه بدهشة وقد أحرجتها إجابته ، ولكنه قابل دهشتها بابتسامته قائلا :

ـــ لاأريد تسوية الأمر بهذه السرعة .. فأنا أريد أن أراك مرة أخرى ..

وتملكتها حالة من الاضطراب لم تقو معها على النظر إليه ، ثم سرعان ما غادرت الغرفة حاملة معها أوراقها .. وقلبها ..

* * *

٨ ــ كلانا يشبه الآخر ..

كان الرجل الجالس أمام مكتبه الأنيق يرد على المكالمات الهاتفية ، التى يتوالى رنينها من الأجهزة المتعدّدة ، الموضوعة أمامه ، بعصبية وتوتر ، لايخلو من وسامة تميز وجهه الصلب الملامح ، وكانت تلك الشعيرات البيضاء القليلة ، التى تبدو متناقضة تمامًا مع الشعر الأسود الفاحم ، الذى تساقطت خصلاته على جبينه ، والتى احتلت جانبى رأسه ، قد أضفت عليه شيئًا من الهيبة ..

وبدا (حاتم زهدى) فى قمة انفعاله ، وهو يصيح فى الهاتف قائلًا :

ــ كيف حدث هذا ؟ أعيدوا الشحنة فورًا .. لا.. لا.. إننى أفضل إحراقها ، على عرضها تالفة بثمن بخس .

وازداد انفعاله ، وهو يقول :

ــ ألا تفهم ؟. إن الأمر يتعلق باسم شركتنا .. وباسمى فى السوق الخارجى ..

لو كنتم تفهمون عملكم ، وتعرفون كيفية التعامل مع شحنة تتميز بمثل هذه الخصوصية ماحدث .. ماحدث .

أرسل تلكس فورًا وأمرًا بإعادة الشحنة ، على نفس الطائرة التى حملتها إلى (هولندا) .. وبعد ذلك سوف نتحاسب .

ثم وضع سماعة الهاتف بعنف ، فى اللحظة التى فتح فيها باب غرفته ، ليدخل (عادل) ، حاملًا معه بعض الأوراق ، وسأله (عادل) قائلًا :

ــ ماذا حدث ؟ ما الذى يجعلك عصبيًا هكذا ؟

قال (حاتم) ، وآثار الانفعال مازالت مرتسمة على وجهه :

ــ لقد فسدت شتلات الزهور ، التى قمنا بتصديرها إلى (هولندا) ، بسبب سوء الحفظ والتغليف .. هل تعرف ما الذى يعنيه هذا ؟ خسارة تصل إلى نصف مليون جنيه .

عادل :

ــ خسارة فادحة بالفعل .. ولكن هل تلفت الشتلات بأكملها ؟

حاتم :

ـــ معظمها .. ولايمكن المجازفة ببيع الجزء السليم منها ، والتغاضى عن بقية الشحنة التالفة ؛ فهذا يعرض سمعتنا للخطر .. لقد أمرت بإعادة الشتلات فورًا ، على نفس الطائرة التى حملتها .

حاول (عادل) أن يهدّئ من ثورته قائلًا :

ـــ حاول أن تخفف من انفعالك ، فقيمة التأمين على الشحنة تغطى الخسارة على كل حال .

لكن (حاتم) استمر على انفعاله ، قائلًا :

ـــ ليست الخسارة المادية هى ماتعنينى .. إن مايعنينى فى المقام الأول هو تعريض اسم شركتنا للخطر ، فشركة (الوادى للتصدير) لها اسم معروف ، فى (أوربا) وبلدان العالم ، وأمر كهذا يسىء إلينا بالطبع .

عادل :

ـــ على كل حال أعتقد أننا لن نجابه هذه المشكلة مرة أخرى ، فمؤسسة (العادلى) ، التى ننوى التعاقد معها ، لها سمعة ممتازة فى السوق ، وتملك إمكانات فائقة فى مجال التعبئة والحفظ والتغليف .

هدأ (حاتم) قليلًا ، وهو يقول :

ـــ لقد اعتمدت على ترشيحك لها ، فى هذا الشأن .

تناول (عادل) بعض الأوراق ، التى أحضرها معه ، ليقدمها إلى (حاتم) ، قائلا :

ـــ هذه هى بعض البنود ، التى طلبت إضافتها إلى العقد ، الذى سيبرم بيننا ، بالإضافة إلى بعض التعديلات الصغيرة .

لكن حاتم أعاد إليه الأوراق ، دون أن ينظر إليها قائلا :

ـــ مادمت ترى فى ذلك مصلحة الشركة .. فليس هناك مايدعو إلى عرضها علىّ .

عادل :

ـــ ولكن ..

قاطعه حاتم قائلًا :

ـــ ولكن ماذا ؟ أنت تعرف مدى ثقتى بك ، وبتقديراتك للأمور ، إذن فلا يوجد مايدعو إلى عرض مثل هذه الأمور علىّ .

أعاد (عادل) الأوراق إلى حافظته ، قائلا :

ـــ حسنا .. اسمح لى إذن أن أقول لك ، مادمت تثق بى وبحسن تقديرى للأمور : إنك بحاجة لبعض الراحة والاستجمام .

ردّد (حاتم) بسخرية :

ـ الراحة والاستجمام ؟!.. وأين هو هذا الوقت ، الذى يسمح لى بالراحة والاستجمام ؟..

. إننى أتولى مسئولية مؤسستين كبيرتين ، وثلاثة مشاريع .. إنها مسئوليات ضخمة ، ملقاة على عاتقى ، وتحتاج إلى إدارة ومتابعة ، تلتهم منى اليوم بأكمله ، ولولا وجود شخص مثلك ، يساعدنى ويتحمل عنى بعض الأعباء ، الملقاة على كاهلى ، ما كانت الأربع والعشرون ساعة كافية ، بالنسبة لشخص مثلى .

عادل :

ـ ولكنك تحمّل نفسك أكثر من طاقتها .. إننى أراك دائمًا مرهقًا ومنفعلا .. وهذا قد يودى بك فى النهاية .

حاتم :

ـ قل لى ماذا أفعل ؟

عادل :

ـ لابد أن تحصل على بعض الراحة والاستجمام .. (حاتم) ، لن أنتظر حتى أراك تسقط متهالكًا كما حدث منذ أسبوعين .. لقد حذرك الأطباء من الإغراق فى العمل على هذا النحو ، وأنت تعرف أن أحدهم قد أكد ، أن مزيدًا من الإرهاق والانفعال قد يعرضك لأزمة قلبية مستحكمة .

قال (حاتم) متهكما :

ـ هراء .. أنت تعرف مبالغات الأطباء .. لاتشغل بالك بى .

لكن (عادل) لم يتراجع وهو يقول :

ـ إن استخفافك هذا يثير حنقى .. إنك تعرض نفسك للانتحار بهذا الشكل .

حاتم :

ـ دعك من هذا الآن ، وابدأ فى إجراء اتصالاتك بالمطار ؛ للإفراج عن الشحنة المعادة حال وصولها ، دون تعريضها للتخزين .

نهض (عادل) واقفا ، وهو يقول ، وقد أعيته المحاولة مع ابن خاله :

ـ سأمر على المطار بنفسى قبل الذهاب لمزرعة الدواجن .. فكر فيما قلته لك جيّدًا ..

ابتسم (حاتم) قائلا :

ـ حسنا .. أعدك بذلك .. لاتنس أن تمر على فى المنزل بعد عودتك .

غادر (عادل) الغرفة ، فى حين انصرف (حاتم) إلى متابعة أعماله ..

وبعد ساعتين ، كان (حاتم) مازال مستغرقًا فى متابعة بعض الأوراق والملفات ، وقد أدار ظهره لمكتبه ، بحيث يواجه النافذة ، وفى يده بعض الأوراق ، التى أخذ يقرؤها بعناية واهتمام ، ولم يشعر وهو فى جلسته هذه بباب الحجرة وهو يفتح ، حتى وجد فجأة يدين ناعمتين ، توضعان فوق عينيه ، وصوت أنثوى لايقل نعومة يسأله بمرح :

ـــ حذّر .. من أنا ؟

استدار بمقعده سريعًا ، وقد أزعجه هذا الاقتحام المفاجئ لغرفته ، وهو منهمك فى عمله ..

كان قد استعد لتوجيه بعض العبارات اللاذعة لصاحبة هذا الصوت ، إزاء تجاسرها على اقتحام خلوته على هذا النحو ، الذى لم يعتده طوال حياته ، ولكنه لم يلبث أن تراجع إلى الوراء ، وأسند ظهره إلى مقعده ، دون أن ينطق بكلمة واحدة .. ذلك لأن عقليته لم تكن مركبة بجملتها تركيبًا ماديًا حتى يفوته التأثر بمثل هذا الجمال الفاتن ..

أما (ناهد) فقد تراجعت إلى الوراء بدورها ، وهى تضع يدها على فمها ، وقد ألجمتها الدهشة والحرج ، حينما رأت أن الرجل ، الذى أرادت مداعبته ، لم يكن هو الرجل المقصود ، وقالت بصوت ينم عن خجلها :

ـــ معذرة .. لقد .. لقد ظننتك (عادل) .

حاول (حاتم) استرجاع قوته وصلابته ؛ للتغلّب على ما أصابه من تأثر ، قائلًا بصوت تعمد أن يكون خشنًا :

ـــ من أنت ؟

أجابته وهى تزدرد لعابها :

ـــ (ناهد) .. (ناهد صبرى) .. موظفة بشركة (العادلى) .

قال (حاتم) محتفظًا بخشونة صوته :

ـــ وهل أنت معتادة التصرف بهذا الأسلوب مع (عادل) ؟

ناهد :

ـــ كلا .. إنها السابقة الأولى .. ولاأدرى لماذا اندفعت إلى التصرف على هذا النحو ؟

عاد يسألها قائلًا :

ـــ ألم يخبرك أحد أن هذه غرفة رئيس الشركة ، وأن غرفة (عادل) تقع فى نهاية الرُدهة ؟

ناهد :

ـــ فى الواقع لقد أشار لى أحدهم على الغرفة ، ولم أتبين موقعها بالتحديد ، كما أننى لم أسمح للسكرتيرة بالخارج أن

تسألنى ؛ لأننى كنت أريد أن أجعل الأمر مفاجأة بالنسبة لـ (عادل) .

أشار لها بالجلوس ، قائلًا :

ـ حسنًا .. تفضلى .

وسألها :

ـ ماذا تشربين ؟

أرادت أن تعتذر ، لكنه ألحّ عليها فى السؤال ، فطلبت تناول فنجان من الشاى ، وأخذ (حاتم) يتأملها فى صمت :

ـ لقد رأى فتيات وسيدات جميلات من قبل ، ولكن هذه الفتاة كانت شيئًا آخر .. شيئًا أحدث أثرًا سريعًا فى نفسه ..

لقد كانت على مستوى رفيع من الجمال .

جمال حرك أحاسيسه النائمة ، وأضاء ومضات فى عقله اللاهى بالأعمال والمشروعات ، وقلبه الخامل ، الذى لم يذق طعم العاطفة منذ سنوات بعيدة ..

وقال لها مضطربًا ، وهو يحاول أن يقطع هذا الصمت :

ـ هل أكون متطفلًا .. إذا ما سألتك عن مدى العلاقة ، التى تربط بينك وبين (عادل) ؟

أجابته (ناهد) :

ـ أبدًا .. إننا صديقان فحسب .

عاد يسألها دون لباقة :

ـ مجرد صديقين ؟

اصطنعت الدهشة ، وهى تقول ، وكأنها تستنكر هذا الإلحاح فى السؤال :

ـ نعم .. لقد التقيت به عندما حضر إلى شركتنا ، من أجل الإطلاع على بعض التصميمات ، الخاصة بصناديق التعبئة ، ثم التقينا عدة مرات أخرى فى النادى ، الذى أشترك فيه ، ومن يومها أصبحنا صديقين .

رسم (حاتم) ابتسامة على وجهه ، وهو يقول :

ـ أرجو ألا تستائى من تدخلى فى أمور شخصية كهذه ، ولكن (عادل) ليس مديرًا لشركتى فحسب ، ولكنه صديق وقريب لى أيضًا .

قالت ، وهى تبتسم بدورها :

ـ نعم أعرف ذلك ، فأنت ابن خاله ، وهو يقدرك كثيرًا .

نظر إليها (حاتم) بدهشة ، قائلًا :

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ناهد :

ـ لقد حدثنى (عادل) كثيرًا عنك

سمحت له اللحظات القليلة ، التى دخل خلالها أحد الأشخاص ، حاملا صينية الشاى ، أن يستعيد ذلك الإحساس الممتع ، الذى أحدثته ابتسامتها الوضاءة فى نفسه ، وبعد أن غادر الساعى الغرفة ، همّ بأن يقول شيئًا ، لكن سكرتيرته حالت دون ذلك ، إذ دخلت إليه حاملة بعض الأوراق ، وهى تقول :

ــ هذه الأوراق تسلَّمتها اليوم ، وهى خاصة بـ .....

ولكنه قاطعها قائلا :

ــ فيما بعد .. فيما بعد يا آنسة (رجاء) .

ونظرت إليه السكرتيرة بدهشة ؛ إذ لم يكن من المعتاد بالنسبة له أن يرجئ شيئًا من الأعمال الهامة ، التى تعرض عليه ، ونقلت بصرها بينه وبين الفتاة الجالسة ، وقد تملكتها الحيرة ثم لم تلبث أن غادرت الغرفة ، وعاد (حاتم) يسأل (ناهد) :

ــ وما الذى حدثك به (عادل) عنى أيضًا ؟

ضحكت قائلة :

ــ أشياء كثيرة .. لايحق لى أن أقولها .

توالى رنين جرس الهاتف فوق مكتبه ، فرفع السمَّاعة ثم أعادها ، دون أن يرد على الهاتف ، قائلا :

ــ حسنًا .. أنا أعطيك هذا الحق .

قالت له ، وهى تنقل بصرها بينه وبين أرضية الغرفة :

ــ قال إنك تكره النساء ، وترى أن المرأة إنسانة معطلة لنجاح الرجل .

صمت وهو يعبث ببعض الأقلام الموضوعة أمامه ، لكنها بادرته قائلةً :

ــ هل هذا صحيح ؟

تطلع إليها دون أن يجيب سؤالها ، ثم قال :

ــ أتعرفين أنك تشبهين إلى حد كبير فتاة ، كنت أعرفها فى الماضى ؟

سألته بخبث :

ــ أى نوع من أنواع المعرفة ؟

استطرد فى حديثه ، كأنه لم يسمع استفهامها :

ــ كنا زملاء فى الجامعة ، وتوطّدت بيننا الصلة ، إلى أن وجدت نفسى أحبها حبًا حقيقيًا .

ناهد :

ــ إذن .. فحياتك لاتخلو من المرأة تمامًا .

حاتم :

ــ إنك تملكين تقريبًا نفس قسمات الوجه .. ونفس الابتسامة المشرقة .. بل نفس طريقتها فى الحديث .. لهذا كان لاقتحامك حجرتى على هذا النحو ، ورؤيتى [illegible] لك [illegible] تأثير كبير فى نفسى ..

لقد بدا الأمر وكأن الماضى قد عاد كله مرة واحدة ؛ ليحرّك مشاعر كانت غائبة عنى منذ سنوات ، ولكنها لم ترحل تمامًا عن نفسى ووجدانى .

أغمضت عينيها ، ثم فتحتهما قائلةً :

ــ ياها من كلمات !!.. ولماذا تباعدتما إذن ، طالما كان بينكما كل هذا الحب ، الذى تدل عليه كلماتك ؟

حاتم :

ــ لأننى لم أكن أحبها حبًا خالصًا .. كان طموحى وأنانيتى يشاركانى حبها ، ثم أصبح الطموح والأنانية أكبر من حبها .. فقد كانت (ليلى) راغبة فى حياة بسيطة ، وبيت صغير يضمنا بين جنباته ، ووظيفة مناسبة تؤمن لنا قوت يومنا ، وتكفينا شر الحاجة ..

كان هذا أقصى طموحها ومطلبها من الحياة ، ولكن أنا لم أكن كذلك ..

لقد وضعت لنفسى هدفًا ، لم أحد عنه طوال حياتى ، منذ أن تفتحت عيناى على الحياة ، وعرفت طعم الفقر وذل الحاجة ، فأبى كان موظفًا صغيرًا ، لا يكفى مرتبه الضئيل للقيام بأعباء أسرة صغيرة ، مكوّنة من أربعة أفراد ، أكثر من خمسة عشر يومًا من الشهر ، بعدها يبدأ فى الاستدانة .. ورأيت بعينى مهانة أبى أمام الدائنين ، كلما جاء أول الشهر ، ثم رأيت ماهو أقسى من ذلك .. رأيت أمى المريضة ، وأبى عاجز عن القيام بمصاريف علاجها ، بعد أن أراق ماء وجهه ، أمام هذا وذاك ، للقيام بجزء من عبء هذه المصاريف الباهظة .. وأخيرًا رحلت أمى عن الحياة ، بعد أن عجز أبى عن مساعدتها فى مقاومة المرض .. ومن يومها قررت أن أكون عدوًّا شرسًا للفقر .. قررت أن أكون ثريًّا .. وثريًّا جدًّا .. مارست مختلف الأعمال ، وسافرت إلى الخارج ، وعرفت كيف أجمع القرش وأستثمره .. جربت الجوع والمعاناه .. لكن صورة أمى المريضة وأبى العاجز جعلتنى أتمسك بالهدف الذى صممت عليه .. وبدأت أتحول إلى رجل أعمال ، ومليونير صاحب شركات ومشاريع ، تدرّ أرباحًا ضخمة .. وفى رحلتى الطويلة هذه .. وفى خضم صراعى ضد الفقر ، لم يكن لمثلى أن يدع مكانًا للحب ، ليعطّله عن مسيرته ، فوأدت حبى لها فى قلبى ،

ووضعت لنفسى هذا المبدأ الشهير ، الذى حدثك به (عادل) عنى ، وهى أن المرأة معطّلة لنجاح الرجل .. وكان ابتعادى عنها هو الثمن ، الذى لابد منه لمواصلة الطريق .

ناهد :

ـ ولكنك الآن أصبحت ثريًا بالفعل .. لقد حققت الكثير من النجاح ، وأصبحت تملك الملايين ، ولا أعتقد أنك عدت بحاجة للتمسك بهذا المبدإ ، الذى فرضته على نفسك .

أطلق (حاتم) زفرة طويلة من صدره ، قائلًا :

ـ ربما أننى أتظاهر بالتمسك بهذا المبدإ ؛ لأننى أشعر دائمًا بتأنيب الضمير نحوها .. لذا قررت أن أتمسك به حتى النهاية ، لكى لاتكون فى حياتى أخرى سواها .. لقد خنت حبها من أجل المال ، وهذا يكفى ، فبعد مرور كل هذه السنوات الطوال أشعر أنه لو دخلت حياتى أخرى سواها ، فسأضيف إلى خيانتى السابقة خيانة جديدة ..

قالت (ناهد) ، وهى تتأمله :

ـ نوع من عقاب النفس !!. من الغريب أن رجلًا ناجحًا مثلك تكون له مثل هذه الأحاسيس الرومانسية الغريبة ، التى لاتخلو من شىء من المراهقة .

نظر إليها بحدة ، قائلًا :

ـ ماذا تقولين ؟

ناهد :

ـ آسفة ولكننى لا أرى أى منطق أو مبرّر ، يدفع إنسانًا ما إلى التمسك بعقدة ذنب لامحل لها .. لابد أن هذه الفتاة قد تزوّجت ، وأصبح لها أسرة ، ونسيتك تمامًا ، فما الذى يدفعك ، وأنت تملك كل أسباب السعادة إلى أن تشقى نفسك هكذا وأنت تتمسك بإحساس بالذنب تجاه فتاة ، انتهت قصتك معها منذ سنوات .

أغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يقول :

ـ لأنها انتحرت إثر رحيلى عنها .

اهتزت (ناهد) لتصريحه هذا ، ورانت عليهما لحظات من الصمت الثقيل ، قبل أن تقول هى :

ـ آسفة ؛ لأن لقائى بك قد أثار فى نفسك ذكريات أليمة .

ولكنه اغتصب ابتسامة ، حاول رسمها على شفتيه ، وهو يقول :

ـ على العكس .. لقد سعدت للغاية برؤيتك ، فعندما وقعت عيناى عليك ، شعرت وكأننى أرى أمامى (ليلى) تُبعث من جديد .

قالت ناهد بصوت خافت :

— لو كانت رؤيتى قد أسعدتك حقًا ، فأنا سعيدة من أجل ذلك ، والآن هل تسمح لى بالانصراف ؟

قال فى رجاء :

— ليس هناك مايدعو إلى العجلة .

ابتسمت قائلةً :

— (حاتم) بك .. إنك رجل أعمال ، ولديك العديد من المسئوليات ، وأنا لا أرغب فى تعطيلك أكثر من هذا .

نهض واقفًا لمصافحتها ، وهو يقول :

— هل سأراك ثانية ؟

مطّت شفتيها ، قائلةً فى دلال :

— ربما .. من فضلك أخبر (عادل) أننى قد حضرت .

سارعت بالانصراف ، وهو يتابعها بعينين تتوسلان إلى بقائها ، فى حين أغلقت هى الباب خلفها ، وهى تبتسم لنفسها ابتسامة راضية ، فقد حصلت على أكثر مما تريده بهذه الزيارة ، فهى لم تخطئ الغرفة ، كما صرّحت لـ (حاتم) ، كما أنها لم تخطئ الشخص ، عندما وضعت يديها على عينيه ، باعتباره (عادل) .. لقد قصدت غرفته منذ البداية ، وكانت تعلم أنه بالداخل ، كما أنه بالنسبة لها كان هو الشخص المطلوب .. (حاتم) بك ، بكل ثرائه ونفوذه ..

وقد جاءت قصته مع هذه الفتاة ، التى تشبهها ، لتضفى على الأمر بعدًا رومانسيًا وعمقًا أكثر .. وهذا أكثر مما تمنته ..

وعندما كانت تجتاز الردهة المؤدية إلى المصعد ، ألقت نظرة على غرفة (عادل) ، وبدا فى عينيها شىء من الاضطراب والحيرة ..

إنها أحبت (عادل) ، لكنها كانت تحلم دائمًا بشخص مثل (حاتم) ..

وأغمضت عينيها ، وكأنها تخنق الحيرة والاضطراب اللذين فى داخلها ، ثم عادت تفتحهما من جديد ، وقد استقرّت فيهما نظرة تصميم وإصرار ..

لقد بدأت لعبتها ، ولن تسمح لنفسها بالتراجع الآن ..

عليها أن تقاوم حبها لـ (عادل) ؛ لتحظى بما حلمت به .. (حاتم) هو حلمها القديم .. الثراء .. والنفوذ .. والشركات والمزارع .. والمشاريع ..

سيكون لها كل شىء .. الجمال .. والمال .. والشهرة .

ستصبح نجمة المجتمع ، وسيدة الأعمال .

لن تعادلها أية فتاة من فتيات مدرسة (الميردى ديه) ، أو فتيات النادى ..

وبينما كانت تجتاز الطريق ، توقفت قليلًا وهى تسائل نفسها قائلة :

ــ ولكن هل سيسير كل شىء ، وفقًا لما خططت له ؟

عادت تقول لنفسها بإصرار ، وكأنها تنزع عن عقلها فكرة الفشل :

ــ نعم سيسير كل شىء طبقًا لما أردته ، فهناك شىء آخر يربط بينى وبين (حاتم) ، فنحن متشابهان إذ أن كلًا منا يسبق طموحه عواطفه ، وكلًا منا مستعد للتضحية بمشاعره من أجل تحقيق مصالحه .. وشخصان من هذا النوع لابد أن يجمع بينهما طريق واحد . وعلت وجهها ابتسامة ، عندما انتهى بها الأمر إلى هذا التفكير ..

ابتسامة راضية ..

وواثقة ..



٩ ــ الاختيار ..

كانت (ناهد) قد انتهت من تمرين الجرى ، عندما رأت (عادل) قادمًا نحوها ، فلوَّحت له قائلةً :

ــ هاى .. (عادل) .

وأخذت تجفف عرقها ، حينما اقترب منها ، وعلى وجهه تلك الابتسامة ، التى طالما أحبتها قائلًا :

ــ لدى مفاجأة لك .

ابتسمت قائلةً :

ــ حقًا ؟ وماهى ؟

تناول من جيبه تذكرتين ، ليقدِّمهما إليها قائلًا :

ــ تذكرتا دعوة لعرض الباليه الروسى ، الذى سيقدَّم فى دار (الأوبرا) هذه الليلة .. طبعًا سنحضره معًا ؟

بدا عليها بعض الحرج ، وهى تقول :

ــ لقد كنت أتمنى ذلك يا (عادل) .. ولكن .. فى الحقيقة أنا مرتبطة بموعد هام هذه الليلة .

نظر إليها نظرة الشخص ، الذى يعرف أنها كانت ستقول ذلك ، ثم مالبث أن قال :

ـــ مع (حاتم) .. أليس كذلك ؟

ارتسمت الدهشة فى عينيها ، وهى تقول :

ـــ وكيف عرفت ذلك ؟

ابتسم فى استخفاف ، قائلا :

ـــ هل نسيت أن (حاتم) لايخفى عنى شيئًا ؟ .

حاولت أن تبرّر موقفها ، قائلةً :

ـــ إن الأمر ليس كما تتصور ، فقد التقيت به فى مكتبه بمحض الصدفة .. ثم ..

قاطعها قائلا :

ـــ ثم بدأت تنصبين شباكك حوله .

نظرت إليه بحدة ، قائلةً :

ـــ إننى لا أسمح لك باستخدام مثل هذا التعبير معى .

ردّ عليها بهدوء ، قائلا :

ـــ هل لديك تعبير أفضل ؟.. لقد تغير (حاتم) تغيرًا كليًا ، خلال أسبوع واحد من لقائه بك .. بدأ يغيب عن عمله ، ويوكله إلى آخرين ، وهو الذى كان العمل حياته ، وأنفاسه التى يتنفسها .. هل تظنين أننى لم ألحظ تطور العلاقة

بينكما ، خلال الأيام الماضية ؟ وتلك الثياب الفاخرة ، والخواتم الماسية ، التى تزين أصابعك ؟.

أهنئك ف (حاتم) هو الشخص ، الذى يلائم أطماعك تمامًا . ولكننى فى نفس الوقت أحذّرك ، إذ أنه يعيش الآن فى حالة تحوّل عاطفى مفاجئ ، ولكنه ليس بالشخص الساذج ، الذى تتصورينه ، كما أنه لايمكن استغلاله بسهولة .. إننى أعرف (حاتم) أكثر منك ، وحذار منه عندما يراك على حقيقتك .

أمسكت (ناهد) ساعده ، قائلةً :

ـــ (عادل) انتظر .. ليس هناك مايدعو إلى كل هذه الغيرة الحمقاء .

أطلت من عينيه نظرة استخفاف ، وهو يقول :

ـــ الغيرة ؟!. تأكدى أنه لم يعد بيننا مايدعو إلى الغيرة ، وعندما جئت لأقدم إليك دعوتى ، كنت أعرف مسبقًا أنك سترفضينها ؛ لأنك سترافقين (حاتم) فى إحدى السهرات هذه الليلة ، وأردت بذلك أن أضع نهاية للعلاقة ، التى قامت بيننا خلال الأسابيع الماضية .

قالت بدلال :

ـــ وهل هان عليك أن ينتهى كل شىء بيننا بهذه السهولة ؟

عادل :

ــ صدقيني يا (ناهد) .. هذا ما كان يجب أن يحدث منذ البداية ، فلا توجد بيننا صفات مشتركة ، يمكن أن تجمع بيننا .

عادت تقول بدلال :

ــ وكلمات الحب ، التي كنت تُسمعني إياها .

قال بهدوء :

ــ لا أظن الآن أنك كنت تستحقينها .. وعلى كل حال لكل منا نزواته .

نظرت إليه ، وفي عينيها ماينم عن إحساس حقيقي بالألم ، وهي تقول :

ــ هل أصبح مابيننا ــ في نظرك ــ مجرد نزوة .

كانت عيناها تحدقان في عينيه ، وأحس لحظة أنه يكاد يتعاطف مع نظرة الألم ، المرتسمة في عينيها ، لكنه سرعان ما انتشل نفسه من هذا الإحساس ، وتحدث بصوت حاول أن يجعله قويًا :

ــ هل تنكرين أنه كان كذلك ، بالنسبة لك أيضًا ؟

هزت رأسها نفيًا ، قائلةً في توسل ، وكأنها ترجوه أن يصدقها :

ــ لا يا (عادل) .. صدقني .. لقد أحببتك حقًا .. أرجوك صدقني .

حدجها بنظرة تنم عن إصراره ، على ألا يستسلم لتأثيرها عليه ، قائلًا :

ــ ربما .. ولكنك تحبين نفسك أكثر ..

(ناهد) .. تأكدي أنني أفهمك جيدًا .. ربما بأكثر مما تفهمين ذاتك .. إنك ستظلين مخلصة لشخص واحد فقط ، هو نفسك .. لذا فلن تعرفي أبدًا معنى الحب الحقيقي .

ثم أدار لها ظهره ، قائلًا :

ــ وداعًا يا (ناهد) .

لكنها نادت عليه قائلة :

ــ انتظر .. مامعنى كلمة وداعًا هذه .. ألن نلتقي مرة أخرى ؟

هز أكتافه قائلًا :

ــ ربما .. نعم .. لابد أننا سنلتقي ، مادامت هناك تعاملات بين المؤسستين ، اللتين نعمل بهما ، ومادمت أحضر إلى هذا النادي .. ولكننا سنلتقي كأصدقاء .

قالت مرتبكة :

ـــ وهل .. هل أخبرت (حاتم) بشيء ، عن العلاقة التي كانت تربط بيننا ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، ثم قال :

ـــ حسنًا .. هذه هي (ناهد) الحقيقية .. (ناهد) التي تعدّ نفسها لكل الاحتمالات ، وتعمل حسابًا لكل شيء .. حتى لايؤثر على ما خطّطت له .

أطلّت من عينيها نظرة غاضبة ، وهي تستمع لسخريته ، لكنه عاد لهدوئه قائلًا :

ـــ اطمئنى .. إنه لم يعرف شيئًا أكثر مما قلته له من قبل ، وهو أننا مجرد صديقين .. وهذا هو الشيء ، الذي اتفقنا على أن يجمع بيننا ، إذا أردت ذلك حقًا .

وتركها منصرفًا ، وقد تنفست الصعداء ، إذ لم تكن تريد أن تبدو أمام (حاتم) كاذبة فيما قالته ، وهما في بدء علاقتهما معًا ..

وبرغم ارتياحها ؛ لأن (عادل) لم يرو شيئًا عن علاقتها به لـ (حاتم) ، إلا أنها كانت تشعر ـــ في ذات الوقت ـــ بشيء من الضيق والحزن ، الذي لم تستطع مقاومته ..

من المؤكد أنها أحبت (عادل) حقًا ، ولم تكن ترغب في ابتعاده عنها ، ولكنه كان محقًا أيضًا فيما قاله ، من أن حبها لذاتها يأتي في المقدمة ..

وتمنت في هذه اللحظة لو كان (عادل) هو الذي يحتل مكان ابن خاله ، في كل شيء .. الثروة .. والنفوذ والجاه .. تمنت لو كان (عادل) جزءًا من حلمها ، إذ لو حدث هذا لكان تحقق لها كل شيء أرادته .. الجمال .. والمال .. والحب .

نعم إنها لا تريد أن تشعر ، في يوم من الأيام ، أنها قد حُرمتْ من تلك العاطفة الرائعة ، التي أحسّت بعضها مع (عادل) ، ولو أن هذه العاطفة لاتأتي في مقدمة أمانيها وأهدافها ..

وكان هذا التفكير أيضًا امتدادًا لعقليتها الأنانية ، التي تريد أن تحصل على كل شيء ، دون أن تجد نفسها مضطرَّة إلى التضحية بشيء آخر في المقابل ، أو التنازل عنه ..

وبينما كانت (ناهد) تهم بمغادرة النادي ، رأت (عادل) واقفًا مع (سلوى) ، يقدِّم لها تذكرتي الدعوة إلى (الأوبرا) ، و(سلوى) تأخذهما منه بفرحة حقيقية ، وقد بدا الانسجام والتوافق واضحًا بينهما ..

وسرعان ما اكتسى وجه (ناهد) بالغضب ، وأطلّت نظرات غيرة نارية من عينيها ، وما أن شاهدته يغادر النادي ، حتى أسرعت تخطو بخطوات غاضبة نحو صديقتها القديمة ، ووقفت أمامها قائلة :

ـــ (سلوى) .. لاداعي لأن تلعبي معي هذه اللعبة .

ردّت عليها (سلوى) بهدوء ورصانة ، قائلةً :

ـــ أية لعبة ؟

قالت (ناهد) ، وهى تحدجها بنظرة متنمّرة :

ـــ إنك تفهمين مقصدى جيّدًا ، إذا كنت تتصورين أنك تستطيعين أن تثأرى لنفسك ، بمحاولتك خطفَ (عادل) منى ، فأنت مخطئة ؛ لأن (عادل) يحبنى .

قالت (سلوى) ، بنفس النبرة الهادئة :

ـــ يالك من تافهه !.. على الرغم من ذكائك ، الذى يبدو أحيانا متسما بالخطورة ، فإنك تبدين فى أحيان أخرى مجرد فتاة حمقاء ، سليطة اللسان .

انفعلت (ناهد) قائلةً :

ـــ أنا لا أسمح لك ..

لكن (سلوى) قاطعتها ، قائلةً بنبرة قوية :

ـــ أنا التى لا أسمح لك بالتحدث معى بهذا الأسلوب .

ناهد :

ـــ أنت تعرفين الصلة ، التى تربط بينى وبين (عادل) .

سلوى :

ـــ وأنا لم أسع لقطع أواصر هذه الصلة .

ناهد :

ـــ ولكنك سمحت لنفسك بالخروج معه هذه الليلة .

سلوى :

ـــ لقد قدم لى دعوة ، لمشاهدة عرض للباليه ، بطريقة مهذبة ولطيفة ، فلم أكن لأرفضها .

ناهد :

ـــ بأية صفة .

سلوى :

بصفتنا صديقين .

ناهد :

ـــ ولكن هذه الدعوة ، كان من المفروض أن تكون من حقى أنا .

سلوى :

ـــ لكنك رفضتيها .

أسقط فى يد (ناهد) ، فالتقطت أنفاسها قليلًا ، ثم عادت تقول :

ـــ هل أخبرك بهذا ؟

سلوى :

ـــ نعم .

ناهد :

ـــ وهل قبلت على نفسك أن تلعبى دور البديلة ؟

نظرت إليها (سلوى) بازدراء ، قائلةً :

ـــ يالك من متغطرسة !! حسنا .. اعلمى إذن أن هذه الدعوة قد قُدِّمَتْ لى قبلك ، لكننى رفضتها فى البداية ، احترامًا للصلة التى تربط بينك وبين (عادل) ، وللصداقة القديمة ، التى كانت بيننا ، وقلت لـ (عادل) : إنك أحق بها منى ، وإن عليه أن يصحبك إلى هذه السهرة ، وعندما قال لى : إن الخيوط بينكما قد تقطَّعت ، والمسافة قد بعدت ؛ لأنه كشف فيك ما عرفته أنا ، منذ أمد بعيد ، وهو أنك مادية وأنانية إلى أبعد الحدود ، وأنه لايمكنه أن يرتبط بإنسانة لها مثل هذه الصفات ، طلبت منه أن يمنحك ويمنح نفسه فرصة أخرى ، وأن يعرض عليك الخروج معه هذه الليلة ، لكن يبدو أنه كان واثقًا من أنك سترفضين دعوته ، لأمر ما يتعلق بمصلحتك الخاصة ، وأراد أن يثبت لى ذلك ، حتى أوافق على مصاحبته ، دون ضمير مثقل ، وعندما أثبت لى بالفعل ، أن مصلحتك الخاصة كانت أقوى من أواصر الصلة ، التى تتحدثين عنها ، لم يكن من المقبول أن أرفض دعوته مجددًا .. أليس كذلك ؟

قالت (ناهد) بانفعال :

ـــ أنت كاذبة .. وكل ماقلته كذب ورياء .

وحدجتها (سلوى) بنظرة ثاقبة ، قائلةً :

ـــ (ناهد) .. ماذا تريدين من (عادل) ؟

ناهد :

ـــ هذا ليس من شأنك :

ـــ لكن (سلوى) أصرت على سؤالها ، قائلةً :

ـــ أجيبى على سؤالى .

قالت (ناهد) بعد تردد :

ـــ إنك تعرفين جيِّدًا أننا متحابان .

سلوى :

ـــ و(حاتم) .

تراجعت (ناهد) خطوتين ، قائلةً :

ـــ ماذا تعنين ؟

سلوى :

ـــ لاتظنى أن الأمر سيبقى سرًا ، إلى أن يأتى الوقت ، الذى حددته أنت لنفسك ؛ لكى تعلنى اختيارك ، فالكل أصبح يعلم الكثير عن تلك الهدايا والسهرات ، ومصاحبتك الدائمة للمليونير (حاتم زهدى) .. والبعض يتحدث عن زواج وشيك ، وهذا يجعلنى أعود للسؤال ، الذى طرحته عليك منذ البداية .. ماذا تريدين من (عادل) ؟

وقفت (ناهد) ، واجمة أمامها ، لاتدرى بم تجيبها ، فى حين أردفت (سلوى) قائلةً :

ـ إذا كنت تحبينه حقًا ـ كما تقولين ـ فهل أنت مستعدة للتضحية بتلك الزيجة المرتقبة ، وقطع علاقتك بـ (حاتم زهدى) ؟

بقيت (ناهد) صامته ، لاتبدى أى جواب على السؤال ، الذى طرحته عليها (سلوى) ، وبعد أن مرت بينهما برهة من الصمت ، عادت (سلوى) تقول ، وكأنها قد تلقت الإجابة بالفعل :

ـ إذن .. ابتعدى عن طريق (عادل) .

ولم تجد (ناهد) جوابًا ..

لم تجده أبدًا .

* * *



١٠ ـ سعادة ناقصة ..

تثاءبت (ناهد) فى فراشها ، وأحسّت بثقل شديد فى رأسها ، وبدا لها كأن هناك قوة عاتية ، تدفعها إلى التراخى والكسل ، على الرغم منها ، وردّدت لنفسها قائلةً ، وهى تبتسم ابتسامة ناعمة :

ـ يبدو أن هذه هى إحدى مساوئ الرفاهية .

وما لبثت أن قاومت شعورها بالكسل ، فجذبت نفسها من الفراش ، ثم أسندت ظهرها إلى مسنده ، وبدا لها أن هذا هو أقصى ماتستطيع القيام به ، وفى تلك اللحظة فتح باب الغرفة ، ودخل (حاتم) ، حاملًا بين يديه منضدة خشبية صغيرة ، ذات أرجل قصيرة ، وضع فوقها أنواعًا مختلفة من الأطعمة ، بالإضافة إلى الشاى الساخن ، ولم يكد يرى (ناهد) جالسة فوق فراشها ، حتى ابتسم لها قائلًا :

ـ صباح الخير يازوجتى العزيزة .. أم أقول : مساء الخير ؟

سألته ، وهى مازالت تقاوم شعورها بالكسل والنعاس :

— كم الساعة الآن ؟

حاتم .

— إنها تقترب من الحادية عشرة .

ناهد :

— ألم تذهب لعملك بعد ؟

حاتم :

— لقد منحت نفسى اليوم إجازة ، وأوكلت العمل إلى (عادل) ، حتى نقضى أطول وقت معًا .

نظرت إلى المائدة الصغيرة ، التى وضعها (حاتم) فوق الفراش أمامها ، قائلةً بعصبية :

— ماهذا يا (حاتم) ؟ ألا توجد خادمة ، للقيام بمثل هذه الأشياء ؟

قال وهو يضع معلقتين من المربى والقشدة ، فوق قطعة من الخبز ، ويقدّمها لها :

— لقد فضلت أن أعد لك طعام الإفطار بنفسى هذا اليوم .

قالت وهى تعيد قطعة الخبز إلى الصينية :

— وما الذى يدعوك إلى ذلك ؟.. فى المنزل ثلاثة من الخدم ، كل منهم كان يستطيع القيام بذلك عنك .

حاتم :

— لم يحدث شىء يا حبيبتى .. المرء منا يحب أحيانًا أن يقوم بخدمة من يحبه .

قالت غاضبة :

— لا يا (حاتم) .. إذا كنت تظن أنك تقدم — بمثل هذا التصرف — دلالة على حبك لى ، فأنت مخطئ .

حاتم :

— حسنًا .. تناولى إفطارك ، ودعينا لا نتنازع فى أمر تافه كهذا .

ناهد :

— ألن تفطر معى ؟

حاتم :

— لا يا حبيبتى .. لقد تناولت إفطارى مبكرًا .

ناهد :

— (حاتم) .. أخشى أن تكون قد بدأت تهمل فى عملك من أجلى .

حاتم :

— لماذا تقولين ذلك ؟

ناهد :

ـــ إننى أعنى ..

قاطعها قائلًا :

ـــ لاتقلقى نفسك بهذا الشأن ، فالعمل يسير على أكمل وجه .

ناهد :

ـــ ولكن منذ تزوجنا .. وأنت تقضى معى معظم الوقت ، ولم تعد تباشر أعمالك ، كما كنت تفعل مسبقًا .

حاتم :

ـــ وهل يثقل عليك وجودى معك ؟

ناهد :

ـــ على العكس ياحبيبى .. لاأريد أن أفارقك لحظة .. ولكنى لاأريد أيضًا أن أكون تلك المرأة المعطِّلة ، كما سبق وقلت .

ضحك (حاتم) قائلًا :

ـــ أمازلت تذكرين ذلك ؟

ناهد :

ـــ حقًا يا (حاتم) .. إننا منذ تزوجنا ونحن فى رحلات ، مابين (الإسكندرية) و(الغردقة) .. (باريس) و(روما) و(لندن) ، وتلك السهرات والحفلات .. إننى ألتهم وقتك بالكامل ، وأحرمك من إدارة أموالك كما يجب .

أطلق (حاتم) زفرة قصيرة من صدره ، قائلًا :

ـــ لقد عملت كثيرًا ، وحققت الكثير من المال والثروة ، لكن كل ذلك لم يجلب لى السعادة ، التى حلمت بها .. لقد كان (عادل) محقًّا فيما قاله : إننى أحمِّل نفسى أكثر من طاقتها ، وآن الأوان لأحصل على بعض الراحة والسعادة .

نظر إليها ، وعيناه تمتلئان حبًّا قائلًا :

ـــ تلك السعادة ، التى لم تعرف طريقها إلى حياتى ، إلا منذ أن دخلتِها .

مسحت (ناهد) على شعره بحنان ، قائلةً :

ـــ هل تكن لى حقًّا ، كل هذا الحب ؟

ابتسم قائلًا :

ـــ إلى الحد الذى أشعر معه أننى قد عدت مراهقًا صغيرًا ، يعجز لسانه عن وصف حقيقة عاطفته المتأججةِ .

قبلته على وجنته قبلة قصيرة ، قائلةً :

ـــ أنا أيضًا أحبك كثيرًا .

تناول يدها بين راحتيه ، قائلًا :

ـــ ليت هذا حقيقيًّا !!

قالت معاتبه :

ـــ لماذا تقول هذا ؟ ألديك شك فى حبى لك ؟

نظر إليها فى حيرة ، قائلًا :

— بالطبع لا ياحبيبتى ، ولكن .. ولكن أحيانًا ..

سألته :

— أحيانًا ماذا ؟

قال بعد برهة من الصمت :

— لا .. لاشىء .. ربما أنها مبالغة لامحل لها ، لمشاعر حُرِمَتْ طويلًا من الحب ، وتريده متدفقًا وغزيرًا ، بأكثر مما يجب .

ابتسمت قائلة ، وهى تحاول أن تهدئ من خواطره :

— حبيبى .. تأكد أن مشاعرى لاتقل عن مشاعرك قوة ، ولكننا لم نعد مراهقين كما قلت ، لكى نردد كلمة الحب هذه طوال ساعات النهار أو الليل ، أو نطلق العنان لمشاعرنا بطريقة رومانسية ، إن الحب موجود ، ولكنه حب متعقل ، يجمع بين شخصين ناضجين .

نظر إليها متأملًا ، وهو يقول :

— معك حق .

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول :

— المهم أن تكون مقتنعًا ، وواثقًا من حبى لك .

قال لها ، محاولًا تغيير الموضوع :

— إننى أراك كسولة اليوم .. مارأيك لو ذهبنا إلى مزرعة (الهرم) ؛ لقضاء بعض الوقت فى الرياضة وتجديد النشاط ؟ خاصة وأن حمام السباحة قد انتهى العمل به أمس ، وأصبح جاهزا لممارسة السباحة ؟

ناهد :

— فكرة رائعة .. أنا فعلا بحاجة لتجديد نشاطى اليوم .

حاتم :

— حسنًا .. أبدلى ثيابك ، إلى أن أعدَّ السيارة ، والأشياء التى سنأخذها معنا .

نهضت من فراشها ، ووقفت قليلًا أمام صورة زفافها ، وهى تتأبط ذراع (حاتم) ، وأخذت تسأل نفسها :

— هل استطاعت حقًا أن تحب هذا الرجل ؟

حدقت فى الصورة بنظرات زائغة ، ثم مالبثت أن قالت ، وهى تجيب على سؤالها لنفسها :

— لو كانت قد أحبته حقًا ، ماكانت بحاجة لهذا السؤال .. إنها أحيانا تحاول أن تقنع نفسها بهذا الحب ، ولكنها فى أحيان أخرى كثيرة تشعر أنها تتظاهر به .. ويبدو أنه قد بدأ يدرك ذلك ويحسه ، على الرغم من كل ماتبذله من جهد ، لكى لاتشعره به ، ولكنها أصبحت تعانى هذا التظاهر ، الذى تضطر

إليه ، خاصة وهو يبثها عواطفه ، على هذا النحو الرومانسى المتدفق ، كما أصبحت تقاسى من محاولاتها لإقناع نفسها ، بأنه لايوجد مايحول بينها وبين مبادلته هذه العاطفة ، وأنها مع كل ماقدمه لها من أشياء ، عاشت طويلًا فى مخيلتها ، كما لو كانت أحلامًا ، ومع كل هذا الحب ، الذى يكنه لها ، والذى طغى على كل ماعداه ، حتى ذلك التفانى والإخلاص ، الذى عرف عنه فى عمله وادارته لشركاته ، لابد وأن تكون قد أحبته ، حتى ولو لم تكن مدركة لذلك ، ثم تعود لتعترف لنفسها قائلةً :

ـ كلا .. لو كان هذا الحب موجودًا ماأخطأته أحاسيسها .. لقد عرفت ذات يوم هذا الحب .. عرفت معناه .. وأحست خفقاته ..

عرفته مع (عادل) ، الشخص الوحيد الذى تفتح له قلبها .. الشخص الوحيد الذى كانت تتهلف لرؤياه ، ولاتشعر معه بمرور الساعات ..

الشخص الوحيد الذى كانت تشعر بارتعاشة ، كلما لمست أنامله أصابعها ، والذى كانت تذوب وجدًا كلما التقت عيناها بعينيه الساحرتين ، وهو إحساس لم تشعر به أبدًا مع أى شخص آخر سواه ..

وانتابها شعور قوى بالذنب ؛ لأنها تفكر فى (عادل) على هذا النحو ، وهى متزوجة من رجل يحبها بكل صدق وإخلاص ، ولكنها لم تكن قادرة على مقاومة هذا التفكير ، الذى أخذ يتسلل إلى عقلها ، وهى تتحاور مع نفسها ، وتحاول البحث عن إجابة لأحاسيسها الحائرة المتسائلة ، وعادت لتسأل نفسها :

ـ ترى هل حققت لذاتها السعادة ، التى طالما تمنتها ، فى ظل رجل ثرى ، ذى نفوذ وإمكانات غير محدودة ؟ وأجابت على سؤالها :

ـ لقد تحقق لها ذلك بلاشك ، ولكن لماذا تشعر دائمًا أن سعادتها ناقصة ومبتورة .. هل هو الافتقاد إلى الحب ؟.. لقد ضحت بهذا الحب من أجل تحقيق طموحاتها ، وكانت واثقة تمامًا أن هذا هو الاختيار الأنجح والأفضل ، وبلاشك فإنها غير نادمة على اختيارها ، ولكنها أيضًا ليست سعيدة تلك السعادة التى تصوَّرتها ، بل هناك شىء حزين يتسلَّل إلى أعماقها ، من آن لآخر ، ليفسد عليها سعادتها هذه ، ويقض مضجعها ..

* * *

استدعى (حاتم) سائق سيارته داخل بهو الفيلا السفلى ، قائلًا :

ــ أريد منك أن تفحص السيارة (الرينو) ، وتعدّها للذهاب إلى المزرعة .

ــ ستكون جاهزة ، خلال عشر دقائق ياسعادة البك .

حاتم :

ــ يمكنك أنت أن تأخذ إجازة ، فلن أكون بحاجة إليك ؛ لأننى سأقود السيارة بنفسى .

وبينما هو يتحدث مع السائق حضر (عادل) ، حاملا مجموعة من الأوراق ، وعندما رآه (حاتم) طرق بيده على جبهته قائلا :

ــ (عادل) .. آه .. كدت أنسى أننى طلبت حضورك هذا الصباح .. لو كنت قد جئت بعد عشر دقائق ماوجدتنى ، فأنا أتأهّب للذهاب إلى مزرعة الهرم ، مع (ناهد) :

ــ وأشار إلى السائق بالانصراف ، قائلا :

ــ اذهب أنت ، ونفذ ماقلته لك .

ودعا (عادل) إلى التوجّه معه إلى غرفة المكتب ، حيث قال هذا الأخير ، وهو يجلس فوق أحد المقاعد :

ــ يبدو أنك قد أصبحت تنسى أشياءً كثيرة هذه الأيام يابن خالى .

حاتم :

ــ معذرة يا (عادل) ، فقد أصبحت (ناهد) تشغل الكثير من وقتى .. إننى حريص على أن أوفر لها كل أسباب السعادة ، فأنت لاتعرف أى انقلاب أحدثته هذه الفتاة فى حياتى ، إن حبى لها قد أضفى سعادة لم أعرفها من قبل على عالمى ، الذى لم يكن يعرف سوى المال والتجارة وإدارة الأعمال ، و......

قاطعه (عادل) ، وهو يدفع إليه الأوراق ، التى أحضرها معه :

ــ هذه هى الأوراق الهامة ، التى تحتاج منك إلى مراجعة وإبداء الرأى بشأنها .

نظر (حاتم) إلى الأوراق الموضوعة أمامه فى ضيق ، قائلا :

ــ كل هذه الأوراق يا (عادل) ؟.. لقد قلت لك : ماهو ضرورى فقط .

قال (عادل) بجدية :

ــ نعم وهذا مافعلته ، فكلها ضرورية .

حاتم :

ــ اسمع يا (عادل) .. تولّ أنت أمر هذه الأوراق ، فأنت موضع ثقتى ، وتعرف كل صغيرة وكبيرة فى الشركة .

قال (عادل) محتجًا :

ــ ولكن لابد من وجود توقيعك على بعضها .

حاتم :

ــ حسنًا .. أرنى ماهو بحاجة إلى توقيعى ، وتولَّ أنت أمر الباقى .

قدم له (عادل) الأوراق ، التى تحتاج إلى توقيع ، وهو ينظر إليه بقلق حاول إخفاءه ، فى حين قال (حاتم) ، وهو يوقع على الأوراق :

ــ يبدو أننى سأكتب لك توكيلًا ؛ لمباشرة الأمور فى الشركة نيابة عنى ، وتكفينى تلك المشاريع والأعمال الأخرى ، التى تلتهم معظم وقتى .

رد عليه (عادل) ، قائلًا بنبرات حاسمة :

ــ إننى لا أستطيع تحمّل مسئولية إدارة الشركة نيابة عنك .

تطلع إليه (حاتم) بدهشة ، قائلًا :

ــ ولكنك شريك بالفعل فى إدارتها .

عادل :

ــ نعم .. ولكن فى ظل وجودك وإشرافك ، فلا غنى لشركة (الوادى) عن وجودك فيها ، ومهما كان الأمر ، فأنت أقدر منى على تصريف شئون أموالك ، وإدارتها على النحو الذى تراه .

حاتم :

ــ ولكنى أثق بك .

عادل :

ــ ليس للثقة دخل بهذا . (حاتم) ، دعنى أقولها لك صريحة : لقد بدأت تهمل فى عملك ، وتركن إلى الكسل والتراخى ، وهذا شىء لم أعهده فيك ، منذ أن تفتحت عينى على هذه الدنيا .

حاتم :

ــ عجبًا لك !!. ألست أنت الذى طلب منى أن أمنح نفسى بعض الوقت للراحة والاستجمام ، والهروب من هموم العمل ؟. حسنًا هأنذا أعمل بنصيحتك .

عادل :

ــ نعم .. بعض الوقت ، وليس معظم الوقت .. منذ أن تزوجت وأنت تلقى بعبء أعمالك على الآخرين ، وهأنتذا تريد أن تهرب من مسئوليتك تجاه شركة (الوادى) ، بمنحى توكيلًا لإدارتها .. هناك فرق بين أن يمنح الإنسان نفسه وقتًا للاستجمام والراحة من أعباء العمل ، وأن يتهرب من مسئولياته تجاه أمواله وأعماله ..

حاتم :

— لقد ضاع الكثير من عمرى فى العمل وجمع المال ، وآن الأوان لكى أحيا حياتى .

عادل :

— ومن الذى يمنعك من أن تحيا حياتك ؟! ولكن لاتدع هذا يكون على حساب عملك ومصالحك ، وعلى حساب الآخرين ، فأنت مسئول عن آلاف العاملين ، سواء فى المزارع أو الشركات ، وكلهم لديهم احتياجاتهم وأسرهم ، وهم بحاجة لوجودك بينهم .. بحاجة لحزمك وعدلك ، وأنت توزّع عليهم المنح والمكافآت .. بحاجة لخوفهم منك وهم يرونك وسطهم ، ترى مصالحك وتوجههم .

أما أن توكل المسئولية لهذا وذاك ، وبينهم من هو ليس فوق مستوى الشبهات ، ولايتمتع بالأمانة المطلوبة .. وحتى من كان منهم أمينًا فقد يغريه ذلك التسيب ، وحاجتك الملحة للبقاء بجوار الزوجة الحسناء ، على أن يمد يده إلى أموالك ، أو يتلاعب بمصالحك .. كل هذه الأشياء يجب أن تضعها فى اعتبارك ، وأنت أعلم بها منى .

ابتسم (حاتم) ، وهو ينظر إليه قائلا :

— هذا هو مايعجبنى فيك ، ويزيد من ثقتى بك .. إنك حريص على مالى وعملى حرصى عليهما ، بل ربما بما يفوق ذلك الحرص من جانبى ، كما أن قلبك الكبير يتسع أيضًا للتفكير

فى الآخرين .. لقد كنت أمينًا دائمًا معى يا (عادل) .. كنت نعم الأخ والصديق ، قبل أن تكون ابن خال أو مدير شركتى ..

نهض (عادل) يجمع أوراقه ، ثم ربَت على كتف ابن خاله ، قائلا :

— وسأبقى كذلك دائمًا يا (حاتم) .. والآن سأتركك لما اعتزمت الذهاب إليه .

وقبل أن يصل (عادل) إلى باب الغرفة ، سأله (حاتم) قائلا :

— (عادل) .. قل لى : هل يوجد فى الحب مايسمى حبًا متعقلًا ، وآخر رومانسيًا ؟

التفت إليه (عادل) ، والدهشة بادية فى عينيه ، وقال :

— ما الذى يدعوك لطرح مثل هذا السؤال ؟

تظاهر (حاتم) بعدم الاهتمام ، قائلا :

— لا .. لاشىء .. مجرد سؤال خطر على بالى .

أجابه (عادل) ، وهو مازال مستغربا من سؤاله :

— أعتقد أن الحب ليس بحاجة إلى تعريف أو تصنيف .. إنه أحاسيس ومشاعر ، تدفع بالمرء إلى التآلف مع شخص ما ، والشعور فى بعض الأحيان بأنه جزء منه . ومن كيانه ، يحرص على سعادته بقدر حرصه على إسعاد نفسه ، وتهفو نفسه إليه

كما يهفو الظمآن إلى الماء ، أو الجائع إلى الطعام .. يمكنك أن تعتبر ذلك جزءا صغيرا من إجابة كبيرة على سؤالك .

قال (حاتم) :

ـ أشكرك يا (عادل) ..

انصرف (عادل) فى حين ردد (حاتم) لنفسه ، قائلا :

ـ لقد كنت أعرف الإجابة وأحسها ، ولكن يبدو أنها لاتحسها مثلى .

وبينما كان (عادل) يتأهب لمغادرة الفيلا ، إذا به يجد (ناهد) مقبلة نحو غرفة المكتب ، ولم تكد تراه حتى تراجعت عدة خطوات ، وأخذ قلبها يخفق بقوة ، وهى تهتف :

ـ عادل ؟!

نظر إليها (عادل) بثبات ، قائلا :

ـ كيف حالك يامدام (ناهد) ؟

أجابته بصعوبة :

ـ الحمد لله .. إننى فى أحسن حال .. و.. وأنت

عادل :

ـ الحمد لله .. بعد إذنك .

وتركها منصرفا ، وهى تتابعه بعينيها فى لهفة وحنين . لكنها سرعان ماانتفضت فجأة على يد زوجها ، وهى توضع فوق كتفها وهو يقول :

ـ هل أنت مستعدة للذهاب ؟

حمل صوتها الكثير من المرارة ، وهى تجيب :

ـ نعم .. مستعدة .

وهوت قطرة دمع ..

من قلبها ..

* * *



١١ ــ الهروب من الحقيقة ..

وقف (حاتم) و(ناهد) يودعان ضيوفهما ، إثر انتهاء الحفل ، الذى أقاماه بمنزلهما ، احتفالاً بنجاح إحدى الصفقات التجارية الهامة ، التى عقدها (حاتم) ، وما أن انتهيا من توديع الضيوف ، حتى أسرع (حاتم) ينزع عنه سترته قائلا :

ــ يالها من ليلة مرهقة !!

ضحكت (ناهد) قائلةً :

ــ لكنها كانت سهرة ممتعة بلا شك .

نظر إليها (حاتم) نظرة مؤنبة ، وهو يفكّ رباط عنقه ، قائلا :

ــ لم يكن لها أى مبرر يا (ناهد) .. ومازلت أصر على أنه كان من الأفضل أن نحتفل بهذه المناسبة بمفردنا ، ودون الحاجة إلى كل هذا الحشد من الناس .

قالت محتجّة :

ــ كيف تقول هذا ؟ صفقة ناجحة كهذه ، ندعها تمر دون الاحتفال بها وسط أصدقائنا ومعارفنا ؟

حدَجها بنظره ثاقبة ، قائلا :

ــ الاحتفال بها وسط أصدقائنا ومعارفنا .. أم التفاخر والزهو أمامهم ؟

ناهد :

ــ وماذا فى ذلك ؟ أليس من حقنا أن نفخر ونزهو بما نحققه من نجاح ؟

حاتم :

ــ (ناهد) .. لقد لاحظت تصرفاتك فى أثناء السهرة ، وبدا لى الأمر وكأنك تحاولين أغاظتهم بهذا النجاح .. كنت غريبة حقًا ، وأنت تتعاملين مع صديقاتك بمنتهى الصلف والغرور ، حتى أننى سمعت الكثيرات منهن يتهامسن عليك ، فقد أثرت نقمتهن .

ناهد :

ــ إننى أعرف ذلك فهنّ يحسدننى ؛ لأننى زوجة رجل ناجح مثلك ، ويحسدننى على ما أصبحت فيه من حياة رغدة .

سألها (حاتم) بدهشة :

ــ ولماذا تسعين لإثارة حسدهن وغيرتهن ، بهذه الطريقة الفجة ؟

حدَجته بنظرات متصلّبة ، قائلةً :

ـــ إنك لاتعرف كيف كُنَّ يتعاملن معى فى الماضى .. كن يظهرن لى الود والترحاب ، ويقابلننى بالابتسامات الزائفة ، ثم يتقوَّلن علىَّ بكلمات وضيعة ، من وراء ظهرى ، والبعض منهن كنَّ يصفننى بالطفيلية ، التى تزجَّ بنفسها فى مجتمعات أعلى من مستواها .. كن يغرن من جمالى ، ويجدن فى طبقتهن التافهة متنفسًا للتحقير من شأنى .

مسح (حاتم) بيده على شعرها ، قائلًا :

ـــ لاتدعى مثل هذه العقد تحكم تصرفاتك .. كونى واثقة أن شخص الإنسان فقط هو الذى يحدد مكانته فى المجتمع ، وبين الآخرين ، وليس الجمال أو الثراء كما تتخيلين .

ناهد :

ـــ دعنا من هذا الموضوع الآن .

تثاءب (حاتم) ، قائلًا :

ـــ معك حق ، فأنا متعب ، وبحاجة قصوى للنوم .

تمدَّدت (ناهد) إلى جواره على الفراش ، وهو يستعد للنعاس ، وهى تحدِّق فى سقف الحجرة ، ثم مالبثت أن استدارت إليه قائلةً :

ـــ لماذا لم يأت (عادل) ابن خالك ، إلى الحفل ؟.

قال وعيناه نصف مغلقتين :

ـــ إن (عادل) لايحب الحفلات والسهرات ، التى تمتد إلى الثانية صباحًا .

ناهد :

ـــ كان ينبغى أن يحضر .. لتهنئتك على الأقل .

حاتم :

ـــ لقد هنأنى فى الشركة .

قالت بانفعال غير مبرر :

ـــ ولكن هذا يعد قلة ذوق من جانبه ، فهذا الحفل أقيم من أجلك ، وهو ابن خالك ، ومدير شركتك ، وكان المفروض أن يكون أوَّل الموجودين .

فتح عينيه فى دهشة ، قائلًا :

ـــ لماذا تشغلين نفسك بهذا الشأن ؟.. لقد هنأنى بنجاح الصفقة ، واعتذر لى عن عدم الحضور إلى هذه السهرة ، التى لم أكن أنا نفسى راغبًا فيها ، وقبلت اعتذاره وانتهى الأمر .. نامى يا (ناهد) ، فورائى عمل غدًا ، فى الصباح الباكر .

عادت تحدِّق فى السقف ، وساقها تهتزّ فى حركة عصبية ، ثم التفتت إليه مرة أخرى ، قائلةً :

ـــ (حاتم) .. إننى غير موافقة :

ـــ قال ، وهو يزفر فى ضيق :

ـــ غير موافقة على ماذا ؟

ناهد :

ـــ على ذلك الموضوع الذى عرضته على هذا الصباح .

قال متحاملًا على نفسه :

ـــ أى موضوع ؟

ناهد :

ـــ أعنى ذلك التوكيل ، الذى تنوى إعطاءه لابن خالك ، لتسيير دفة الأمور فى (شركة الوادى) .

حاتم :

ـــ وما وجه اعتراضك ؟

ناهد :

ـــ كيف تترك مصالحك وأموالك ، فى شركة هامة كهذه ، بين يدى شخص آخر ، يتصرَّف فيها كيفما شاء ؟

تحول إليها قائلًا بجدية :

ـــ (عادل) ليس أى شخص يا (ناهد) ، ولا أحب أن تتحدثى عنه هكذا . فثقتى به بلا حدود ، ثم إن أعمالى قد تعدَّدت ومشاريعى تضخَّمت ، وكل هذا يحتاج إلى وقت وجهد ، لم أعد أملك منهما الكثير .. يكفينى الإشراف على الأعمال الأخرى ، وسوف يقوم (عادل) بتولّى مسئولية

شركة (الوادى) وبتخفيف بعض العبء عنى ، وأنا واثق أنه سيديرها كما لو كنت موجودًا .

قالت ، وهى تضغط على كلماتها :

ـــ ولماذا لا أتولّى أنا هذه المسئولية ؟

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـــ أنت ؟

قالت بثقة :

ـــ نعم .. هل نسيت أننى حاصلة على بكالوريوس تجارة قسم إدارة أعمال ؟

حاتم :

ـــ ولكن ..

ناهد :

ـــ ولكن ماذا ؟ أنت مثقل بأعباء العمل ، وأنا أشعر بملل وفراغ ، بعد استقالتى من وظيفتى ، وإدارتى لهذه الشركة سيكون لصالحنا جميعًا . فهذا سيجعل بيننا اهتمام مشترك ، بدلًا من تباعد أفكارنا ، كما أنه سيتيح لنا وقتًا أطول نقضيه معًا ، خاصة فى الساعات التى ستحضر فيها لمتابعة نشاط الشركة ، ولن تكون مضطرًا لتلك الإجازات ، التى تمنحها لنفسك ، للبقاء إلى جوارى .

حاول أن يتكلم ، لكنها لم تتح له الفرصة ، مستطردةً :

ـ كما أنه من واجب الزوجة أن ترعى مصالح زوجها بنفسها .

حاتم :

ـ ولكنك لاتملكين الخبرة الكافية .

ناهد :

ـ لن يكون الأمر معضلة ، فدراستى وخبرتى السابقة فى العمل ستمكنانى من التأقلم سريعًا . مع ظروف العمل فى الشركة ..

وأردفت بكلمات متأنية :

ـ ثم إن .. الأمور الصعبة ، التى ستحتاج إلى مراجعة وتمحيص ، سأرجع فيها إلى (عادل) بالطبع .

حاتم :

ـ حسنًا .. سأفكِّر فى هذا الأمر غدًا .

اقتربت منه فى دلال ، قائلةً :

ـ بل قل إنك موافق .. فهذه أمنية أريد أن تحقِّقها لى .

وصمت برهة ، ثم قال :

ـ حسنًا .. من الغد سأوكل لك إدارة شركة (الوادى)

وأغمض عينيه ، وقد اشتدت به الرغبة إلى النوم ، فى حين

تنهَّدت (ناهد) فى ارتياح ، وهى تلقى برأسها على الوسادة ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة رضا ، فها هو ذا أحد أحلامها يتحقَّق ، ومن الغد لن تصبح تلك المرأة الجميلة الثرية فقط ، بل ستصبح سيِّدة أعمال أيضًا ، تدير شركة كبيرة ، لها اسمها وسمعتها ، ويعمل تحت إمرتها مئات من الأشخاص ، وهى إحدى الأمنيات ، التى طالما حلمت بها ..

ولكن هل كان هذا هو فقط سر سعادتها ومبعث ارتياحها ؟ أم أن قربها من (عادل) ، وتلك الفرصة التى ستتاح لها لرؤيته يوميًا ، والتحدث معه ، كانت ضمن الأسباب الخفية ، التى رفضت أن تبوح بها لنفسها ؟..

بل ربما إنه السبب الأول والحقيقى لرغبتها فى إدارة هذه الشركة .

ـ وأغمضت عينيها ، وهى تهز رأسها بعنف ، وكأنها تحاول أن تطرد من عقلها هذا الخاطر ، أو كأنها لاتريد الحصول على إجابة لهذا التساؤل المزعج ، فحتى لو كان هذا حقيقيًا .. فهى لاتريد أن تواجه نفسها بهذه الحقيقة .. أبدًا ..

* * *

١٢ ـ شىء فى قلبى !!

فتح (عادل) باب غرفة رئيس الشركة ، ليجد (حاتم) واقفًا أمام مكتبه ، وقد لفَّ ذراعه حول كتفى زوجته ، وما أن رآه هذا الأخير حتى ابتسم قائلًا :

ــ أهلًا (عادل) .. تعال .

وتهللت أسارير (عادل) ، وهو يصافحه قائلًا :

ــ أهلًا .. أهلًا يا (حاتم) .. كم أنا سعيد بعودتك إلى مكتبك ، وإدارتك لمقاليد الأمور مرة أخرى فى الشركة .

ثم صافح (ناهد) ، قائلًا :

ــ أهلا بك فى الشركة يامدام (ناهد) .

ردَّ عليه (حاتم) قائلًا :

ــ إننى سأترك أمور الإدارة فى الشركة لـ (ناهد) من الآن فصاعدًا ، أما أنا فسآتى للإشراف على سير العمل ، من فترة لأخرى .

نظر إليه (عادل) فى دهشة ، قائلًا :

ــ هل ستتولى زوجتك الرياسة هنا ؟

ردت عليه (ناهد) قائلةً فى شىء من التعالى :

ــ هل لديك مانع يا أستاذ (عادل) ؟

عادل :

ــ لا بالطبع ، فهذه شركة (حاتم) ، وله أن يتصرف فيها كيفما يشاء .

حاتم :

ــ كنت قد وعدتك بمنحك توكيلًا لإدارة الشركة إدارة فعلية ، ولكن ناهد تصر على مساعدتى ، وعلى منحها فرصة لإثبات كفاءتها كسيدة أعمال ، لكن هذا لن يغير من الأمر شيئًا بالنسبة لك ، فسوف تستمر الأمور كما هى عليه ، وأنا أعتمد عليك ، لكى تكون عونًا وسندًا لـ (ناهد) ، كما كنت تفعل معى تمامًا .

عادل :

ــ قلت لك من قبل : إننى غير مستعد لقبول توكيلك هذا ، كما أننى لا زلت أصر على أن وجودك ، وإشرافك المباشر على العمل فى هذه الشركة ، أمر ضرورى للغاية ، ولكنى على كل حال سأمتثل لما تكلفنى به ، حتى لو لم أوافقك عليه

ثم نظر إلى (ناهد) وعاد ينظر إليه ، قائلًا :

ــ بعد إذنك .

واستدار مغادرًا الغرفة .

وقال لها (حاتم) ، بعد انصرافه :

ـ إنه غاضب ؛ لأننى لم أستشره فى هذا الأمر ، وكان من الواجب علىّ أن أفعل .

قالت (ناهد) بغضب :

ـ من هو هذا ، حتى تستشيره أو لاتستشيره ؟ إنه فى النهاية موظف لديك . ثم كيف تسمح له أن يتحدث معك بهذا الأسلوب ؟ إن كونه ابن خالك لايسمح له بالتدخل فى شئونك ، أو مخاطبتك على هذا النحو .

قال (حاتم) مؤنبًا :

ـ لقد قلت لك من قبل : إن (عادل) بالنسبة لى أكثر من ابن خال ، أو موظف يعمل لدى فى الشركة ، إننى أثق بهذا الإنسان ، أكثر من ثقتى بأى شخص آخر ، وأريد منك أن تتعاملى معه على هذا الأساس .

تراجعت (ناهد) عن غضبها قائلةً :

ـ حسنًا .. حسنًا .. لاداعى لأن يكون هذا مثار خلاف بيننا ، ولكننى شعرت أنه أهاننى ، باعتراضه على وجودى فى الشركة ، كما بدا لى متجاوزًا للحدود .

حاتم :

ـ على كل حال .. تأكدى أنه سيكون مفيدًا لك للغاية ، فى إدارة دفة الأمور بهذه الشركة ، ولاتجعلى من الاستعلاء والتكبر ، حاجزًا ، يحول دون استفادتك بنصائحه ، أو الاستعانة برأيه .

وابتسمت له قائلةً :

ـ اطمئن .. سأتذكر ذلك دائمًا .

* * *

قال لها (عادل) وهو يدخل إلى حجرتها

هل طلبتنى ؟

تأمّلته (ناهد) لحظة بمنكبيه العريضين ، وسمات الثقة والاعتزاز بالنفس ، المرتسمة على وجهه الوسيم ، وأحسّت ، مع خفقات قلبها المضطربة ، أن مشاعرها مازالت أسيرة لذلك الرجل ..

حقًا .. لقد كانت مستعدة لأن تضحى بحبها ، من أجل أطماعها وأحلامها ، التى لم تكن لتنالها معه ، لكن من المؤكد أيضًا أنها لم تعرف الحب إلا معه .

وعاد (عادل) يقول لها :

ـ قيل لى إنك طلبتنى .

قالت ، وهى تحاول إخفاء أحاسيسها المضطربة :

ـ نعم .. كان من المفروض أن نتسلّم صفقة معلبات من (اليابان) ، منذ شهرين مضيا ، ولكننى لا أرى هنا فى سجل الاستيراد أى شىء بشأنها .

قال (عادل) بجدية :

ـ لقد استوردنا هذه الصفقة من (اليابان) ، منذ عام مضى ، وفقًا لأسعار السوق وقتها ، وكان من المفروض أن يتم تسلُّمها بالفعل منذ شهرين ، لكن أسعار هذه المعلبات ارتفعت بشكل كبير فى الآونة الأخيرة ، وقد حاول اليابانيون مساومتنا على الأسعار الجديدة ، بأن نتحمل جزءًا من فارق الأسعار ، لكننا رفضنا ، وتمسكنا بالثمن الذى تعاقدنا عليه ، بل قررنا استخدام البند المنصوص عليه فى العقد ، والمتعلّق بغرامة التأخير ، التى تزداد كل فترة زمنية معينة ، نظرًا لتأخر موعد التسليم ، وقد رضخ اليابانيون لشروطنا فى النهاية ، وأرسلوا (تلكس) منذ خمسة أيام ، يخطروننا فيه بأن الباخرة ، التى تقل شحنة المعلبات ، فى طريقها إلى الميناء ، وأنهم مستعدون لدفع غرامة التأخير ، وكل هذا موجود فى الملف الخاص بشحنة المعلبات اليابانية .. العقد المنصوص عليه .. والمكاتبات التى تمت بيننا وبينهم ، و(التلكس) الأخير .

سألته :

ـ وأين هو هذا الملف ؟

عادل :

ـ إنه فى هذا الدرج .

واتجه نحو صوان معدنى جانبى ، به عدة أدراج ، حيث جذب أحدهم ، وتناول الملف من بين عدة ملفات أخرى ، ليقدمه لها ، فقلّبت هى أوراقه دون تركيز حقيقى ، حتى سألها قائلًا :

ـ شىء آخر ؟

ووجدت نفسها تقول له ، وهى تغلق الملف الموضوع أمامها :

ـ أما زلت تذهب إلى النادى ؟

فوجئ بالسؤال ، لكنه قال بعد برهة من الصمت :

ـ أعتقد أن هذا السؤال لا صلة له بالعمل .

ناهد :

ـ هذا حقيقى .. فأنا أسألك الآن بصفتى صديقة .. ألم تقل لى من قبل : إنه من الممكن أن نلتقى كأصدقاء ؟ أم أنك قد نسيت ذلك ؟

عادل :

ـ لا .. لم أنس .

ناهد :

ــ ومع ذلك .. فقد كنت معارضًا لأن أتولّى الإدارة هنا .

عادل :

ــ هذا لاعتبارات العمل فقط ، ولا علاقة له بشخصك .

ناهد :

ــ هل يعنى هذا أنك لاتكرهنى ؟

عادل :

ــ ولماذا أكرهك ؟

ناهد :

ــ لأننى .. لأننى ..

شعرت بشىء من الحرج ، فى إكمال عباراتها ، فعادت تقول ، وقد عدلت عنها :

ــ حسنًا .. مادمنا أصدقاء ، لماذا لاتجيبنى على سؤالى ؟

عادل :

ــ تقصدين بشأن النادى ؟. نعم مازلت أذهب إلى هناك .

ناهد :

ــ إن ذلك النادى متواضع بعض الشىء ، وأعتقد أنه لم يعد يناسبك .. يمكننى ــ لو أردت ــ أن أجعلك تشترك فى

النادى الجديد ، الذى التحقت به .. إن لى عضوية فخرية ، و......

قاطعها قائلًا :

ــ ولكننى راض عن النادى ، الذى أذهب إليه .

ناهد :

ــ وهل تلتقى بـ (سلوى) هناك ؟

هبَّ (عادل) واقفًا ، محاولًا قطع استغراقها فى هذا الحديث ، وهو يقول :

ــ آسف إننى مضطر للانصراف الآن ؛ فلدى عدة أعمال ، يتعيَّن على إنجازها .

وضعت يدها على يده ، الموضوعة فوق المكتب ، بطريقة تلقائية ، قائلةً له فى شىء من الاستعطاف :

ــ فلتبق قليلًا .. فأنا مشتاقة للحديث معك .

ولكنه جذب يده سريعًا ، وفى عينيه نظرة صارمة ، قائلًا :

ــ سأترك أرقام الهاتف ، فى كل الجهات التى سأذهب إليها . لإنهاء الأعمال المطلوبة ، وإذا ما احتجت للاستعانة برأيى فى أى شىء بخصوص العمل ، يمكنك أن تتصلى بى هناك .

واستعد للانصراف ، لكنها نهضت من فوق مقعدها ، قائلةً له فى لهفة وفضول :

ــ ألن تجيب عن سؤالى ؟

عادل :

ــ أى سؤال ؟

ناهد :

ــ أما زلت تلتقى بـ (سلوى) ؟

نظر إليها (عادل) باستغراب ، قائلًا :

ــ إذا كانت الإجابة تهمك كثيرًا ، فهى نعم .. إننى ألتقى بـ (سلوى) ، فى النادى وخارج النادى .. والآن فلتسمحى لى بالانصراف .

وغادر الغرفة ، دون أن يتيح لها الفرصة لمزيد من النقاش معه ، أما هى فقد شعرت بغصة فى قلبها ، وبدت وكأن نيرانًا متأججة قد اشتعلت فى أعماقها ، حتى أنها تمنت لو أنها لم تطرح عليه هذا السؤال ..

بل إنها تمنت ، وهى تتهالك فوق مقعدها ، لو كانت قد تخلت عن إصرارها على المجىء لهذه الشركة ، والابتعاد عن هذا الرجل ، الذى يثير فى نفسها كل هذه الأحاسيس المتضاربة والمضطربة .

وتفجر فى أعماقها سخط ..

سخط مخيف .

* * *

١٣ ــ الحب الضائع ..

أخذت (ناهد) تسبح فى حوض السباحة الخاص بها ، وقد استرخت أعصابها المتوترة بتأثير الماء الدافئ ، إذ عانت خلال الأيام الماضية من الأرق والتوتر ، على نحو لم تعرفه من قبل ، حتى أنها اضطرت لأول مرة إلى تناول الأقراص المنومة ، لكى تساعدها على النوم ..

ولقد لاحظ (حاتم) ذلك التغيير ، الذى طرأ عليها ، وحاول أن يعزوه إلى العمل ، وتحملها عبء الإدارة فى الشركة ، مما دفعه إلى مطالبتها بالتوقف عن الاستمرار فى العمل ، لكنها رفضت ، وتعمدت أن تخفى عنه مظاهر توترها ، فقد أحست أنها لم تعد تقوى على الابتعاد عن ذلك المكان ، الذى يضمها مع (عادل) ، بالرغم من إدراكها التام أنه هو مبعث تلك التوترات النفسية ، التى تعانيها ، والتى تضغط على أعصابها ومشاعرها ، فهى لا تدرى ما الذى تريده منه تحديدًا ؟.. إنها تدرك ، مع كل خفقة من خفقات قلبها كلما رأته ، ومع كل خلجة من خلجات نفسها ، التى تضطرب

كلما كان قريبًا منها ، ومع ذلك الإحساس بالألم والغيرة ، أدركت أنه قد أصبح بعيدًا عنها بقلبه وفكره ، وأنه يمكن أن تكون هناك إنسانة أخرى احتلت مكانها فى ذلك القلب ، أنها مازالت تحبه .. وهذا الإحساس ، مع عجزها عن مقاومته ، يثقل على ضميرها ؛ لأنه يصمها بالخيانة .. خيانة الرجل الذى تزوّجته بملء إرادتها ، وأصبحت تحمل اسمه .. الرجل الذى حقق لها كل الأحلام ، التى حلمت بها ، وتمنت أن تتحقق لها يومًا ما .. وهى لاتريد أن تصبح خائنة .. قد تعترف بينها وبين نفسها أنها تملك الكثير من المساوئ والرذائل ، فهى أنانية .. مغرورة .. لاحدود لأطماعها .. ولا نهاية لرغباتها المادية .. ومحاولتها إثبات تفوقها على الآخرين .. ولو أتى هذا التفوق على حساب مشاعرهم ، أو تسبب فى إيلامهم .. هذه أشياء قد لاتنكرها بينها وبين نفسها ، أما الخيانة ، فهذه هى الرذيلة ، التى لم تكن لتسمح بوجودها فى حياتها ، ولم يكن لضميرها ، الذى سمح لها بأشياء كثيرة ، القدرة على التغاضى عنها ؛ ومع ذلك فهى لاتجد حلًا لهذا الإحساس الجارف ، الذى يسيطر على قلبها ، ويدفعها إلى التشبث بحبها لـ (عادل) ..

وحاولت (ناهد) أن تطرد هذه الأفكار ، التى تسللت إلى عقلها ، والتى ترهق أعصابها ، وتعود فتستسلم إلى حالة

الاسترخاء ، التى كانت تستشعرها منذ لحظات ، حينما رأت زوجها قادمًا ، وهو يقترب من حافة الحمام ، فلوّحت له بيدها وهى تسبح فى الماء ، فابتسم لها قائلًا :

ــ لدى مفاجأتان سعيدتان لك .

ناهد :

ــ حقًا ؟

حاتم :

ــ هيا اخرجى من الماء ؛ لكى أخبرك بهما .

سبحت (ناهد) ، حتى وصلت إلى حافة الحوض ، وصعدت فى درجات السلم المعدنى ، فاستقبلها زوجها بروب الاستحمام ، ودثرها به ، وجلست فوق أحد المقاعد الخشبية ، القريبة من حافة حوض السباحة ، وهى تمشط شعرها ، فى حين جلس زوجها فى المقعد المجاور ، وسألته وهى مستمرة فى تمشيط شعرها :

ــ هيا .. هات ماعندك .. ماذا لديك ؟

حاتم :

ــ أولًا : لقد اشتريت لك فيلا أنيقة فى (أسبانيا) تطلّ على البحر مباشرةً ، ومزودة بكل الكماليات لقضاء الإجازات ، وهذا هو عقد الشراء . ومفتاح الفيلا .

صرخت (ناهد) من الفرحة :

ـ غير معقول !! يالها من مفاجأة !!

ثم اندفعت تحضنه وهى تغرقه بالقبلات ، فضحك قائلًا :

ـ حذار أنك تبلليننى بالماء .

قالت ، وفى عينيها نظرة امتنان :

ـ لابد أنها قد كلفتك كثيرًا .

حاتم :

ـ إنك تعرفين جيّدًا ، أنه لاشىء يغلو عليك يا حبيبتى .

تناولت يده لتقبلها قائلةً :

ـ أدامك الله لى .. وماهى المفاجأة الثانية ؟

حاتم :

ـ أننا مدعوان لحفل زواج ، يوم الخميس القادم .

ناهد :

ـ زواج من ؟

حاتم :

ـ لن تصدق .. إن العريس هو (عادل) ، أما العروس فلابد أنك تعرفينها ؛ لأنها كانت زميلة لك فى تلك الشركة ، التى كنت تعملين بها قبل زواجنا .

هتفت (ناهد) فى مرارة ، وقد نزل عليها الخبر كالصاعقة ، ليغتصب منها فرحتها بالخبر الأول :

ـ سلوى ؟

قال (حاتم) مبتسمًا :

ـ نعم .. إن اسمها (سلوى) .. تصوّرى ذلك الخبيث لم يخبرنى بأى شىء ، بخصوص هذا الأمر ، ولقد فوجئت به يروى لى عن قصة أعجاب وحب ، كان يعيشها منذ فترة طويلة ، إلى أن وصلت إلى دعوة مفاجئة ، قدمها لى لحضور حفل عقد قرانه ، ومن الغريب أنه لم يكن يبدو عليه أى شىء ينبئ عن ذلك ، لكننى لن أغفر له هذا ؛ لأنه كان من المفروض أن أكون أول شخص يعرف ، وإن كنت لا أخفى عليك أننى سعيد للغاية من أجله ، فمن الواضح أنه يحب هذه الفتاة حبًا كبيرًا ، إذ لن أستطيع أن أصف لك الفرحة ، التى كانت تطل من عينيه ، وهو يخبرنى عنها .

وفجأة توقف (حاتم) عن متابعة الحديث .. إذ راعته تلك النظرة الحزينة فى عينى زوجته ، والتى أطفأت إشراقة وجهها ، وأحس أنها كما لو كانت تعتصر آلام الدنيا بين جنباتها ، فسألها فى قلق :

ـ (ناهد) .. ماذا بك ؟

قالت ، وقد عجزت عن رسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها ، تبدد بها قلقه :

ــ لا .. لاشيء .. يبدو أنه قد أصابتني وعكه بسيطة .. سأذهب لأستريح .

واندفعت تغادر المكان سريعًا ، حتى لاتدع أحزانها تفضحها أمامه ، وماإن وصلت إلى حجرتها ، حتى أطلقت العنان لعبراتها وحزنها ، أما (حاتم) فقد ظل جالسًا فى مكانه ، وقد تبدل القلق فى عينيه إلى عشرات الهواجس ، التى أخذت تتزاحم فى عقله ، وأخذ يتساءل عن سر ذلك التحول المفاجئ ، الذى اعترى زوجته ، حينما أنبأها بزواج (عادل) المقبل ، وهل لذلك علاقة بتلك الحالة المتوترة ، التى كانت تبدو عليها ، منذ تولت إدارة شركته ؟ ومامدى صلة (عادل) بذلك ؟..

هز رأسه بقوة ، وكأنه يزيح عنها تلك الأفكار المزعجة التى أقلقته .

ولكن هيهات ..

لقد نبتت البذرة ..

بذرة الشك ..

* * *

حضر (حاتم) فى ساعة مبكرة إلى الشركة ، وماإن رأته سكرتيرة زوجته ، حتى هبت واقفه ، وهى تقول :

ــ (حاتم) بك .

أشار لها بالجلوس ، قائلًا فى هدوء :

ــ عليك أن تنفذى ما أقوله لك جيدًا .. سأدخل إلى غرفة الاجتماعات الجانبية ، الملحقة بغرفة مكتبى ، ولا أريد أن تعرف زوجتى ذلك .. أيًا كان الأمر لا أريدها أن تعلم بوجودى ، هل تفهمين ؟

قالت السكرتيرة ، وهى لاتخفى دهشتها من تصرفه هذا :

ــ نعم يا (حاتم) بك .

فتح (حاتم) باب غرفته ، ليدلف منها إلى غرفة الاجتماعات ، بعد أن أغلق بابها الخشبى خلفه ، وألقى نفسه فوق أحد المقاعد ، التى تلتف حول مائدة الاجتماعات الكبيرة ، وهو يشعل لنفسه سيجارة ، وبعد قليل أحسّ بوقع خطوات زوجته ، وهى تدخل إلى الحجرة المجاورة ، وماأن استقرت خلف مكتبها ، حتى ضغطت على زر فى الجهاز الموضوع أمامها ، لتتصل بالسكرتيرة قائلةً :

ــ اطلبى الأستاذ (عادل) ، ليحضر إلى مكتبى ، وقولى له : أن يحضر معه كشفًا بحساب المصروفات ، عن الأسبوعين الماضيين .

وأسرعت بمغادرة مكتبها ، وهى تسير فى الغرفة جيئة وذهابًا بخطوات عصبية ، وبعد قليل دخل (عادل) ، حاملًا الكشف المطلوب ، حيث قدمه لها قائلًا :

ـ صباح الخير يا مدام (ناهد) .. هل طلبت هذا الكشف ؟

ولكنها تناولته منه فى انفعال ، لتلقى به فوق الأريكة الموجودة فى الغرفة ، وهى تقول له :

ـ كيف لم تخبرنى بذلك ؟

سألها بدهشة :

ـ أخبرك بماذا ؟

قالت ، وهى مستمرة فى عصبيتها :

ـ أنك تنوى الزواج من (سلوى) .

عادل :

ـ وهل كان من المفروض أن أخبرك ؟

احتدت قائلةً ، وكأنها تطلب حقًا من حقوقها :

ـ نعم .. لم يكن من المفروض أن تدعنى أفاجأ بالخبر ، على هذا النحو .

عادل :

ـ لم يعلم أحد بموعد زواجنا إلا أمس ، فقد رتبنا الأمر ليكون مفاجأة للجميع .. حتى (حاتم) ..

قاطعته قائلةً :

ـ (عادل) ، إن هذا الزواج حماقة من جانبك .

سألها متهكمًا :

ـ حماقة ؟!. ماذا تعنين بذلك ؟

ناهد :

ـ إذا كنت تبغى الزواج من (سلوى) انتقامًا منى ، فذلك يعد ..

لم يدعها تكمل حديثها ، بل انفعل قائلًا :

ـ انتقامًا منك ؟!. أى غرور وأى وهم صور لك ذلك ؟ إننى سأتزوج (سلوى) ؛ لأننى أحبها وأقدرُها .

ناهد :

ـ ليست (سلوى) بالفتاة التى تناسبك .

قال باستهزاء :

ـ وكيف حكمت بذلك ؟

ناهد :

ـ لأن كلينا ما زال يحب الآخر .

علا صوته غاضبًا ، وهو يقول :

ـ كيف تسمحين لنفسك بأن تقولى هذا ؟ هل نسيت أنك زوجة ؟ وزوجة لشخص يعد بمثابة أخ لى ؟

قالت ، وقد سالت العبرات فوق وجنتيها :

ــ لم أنس .. ولكن مشاعرى أقوى منى .

عادل :

إياك أن ترددى مثل هذا القول .

ــ لكنها قالت ، وهى تنتحب :

ــ صدقنى يا (عادل) .. لقد حاولت أن أتغلب على هذه المشاعر مرارًا ، ولكنى عجزت عن مقاومتها ..

لقد حاولت أن أحب (حاتم) .. حاولت أن أمنحه كل مشاعرى وأحاسيسى ، ولكنى لم أفلح فى ذلك ، فأنا لا أمنحه سوى مشاعر زائفة ومظاهر حب غير حقيقية ؛ وذلك لأنك مازلت تعيش فى وجدانى .

قال (عادل) ، وهو يرمقها بنظرة ازدراء :

ــ تقولين ذلك الآن ، بعد كل ما قدمه لك .. إنه لم يغفل لحظة واحدة عن تلبية مطالبك ، وحول لك كل أحلامك إلى واقع ، كيف تجرئين على مثل هذا القول الآن ؟ ما الذى تريدينه أكثر من هذا ؟

قالت وقد ازداد نحيبها :

ــ أريد حبك .

عادل :

ــ كان عليك أن تدركى أن هذا الحب لم يعد له وجود .. لقد كان الاختيار أمامك منذ البداية ، وكان اختيارك واضحًا .. لقد تغلبت أنانيتك وأطماعك على أية عاطفة أخرى .

قالت وكأنها تستعطفه .

كنت مخطئة .. فليس من السهل على المرء أن يضحى بقلبه .

قال باستخفاف :

ــ وهل تبدل الأمر الآن ؟.. هل أصبحت مستعدة للتضحية من أجل سعادة قلبك ؟

قالت باندفاع :

ــ نعم .. إن (حاتم) سيسجل هذه الشركة باسمى خلال الأيام القادمة ، وبعدها سأطلب منه الطلاق .. سأخبره بأننى لا أشعر بالحب نحوه .. وأنا أعرف (حاتم) .. لن يرضى على كرامته أن يستبقى معه زوجة لا تحبه .. بعدها يمكننا أن نتزوج .

نظر إليها عادل باحتقار ، قائلًا :

ــ يالك من امرأة !!. حتى وأنت تتحدثين عن الحب والزواج لا تستطيعين أن تتخلى عن انتهازيتك ، وتفكرين فى الفوز بهذه الشركة ، التى بناها (حاتم) بعرقه وجهده ؟.

لا يكفيك أن تحطمى قلبه وتمزق كرامته .. بل تريدين الاستيلاء على ماله أيضًا !؟

إنك أسوأ صورة لامرأة ، شاهدتها طوال حياتى ، فأنت تخلطين الحب بالخيانة والطمع .

تعلقت بذراعه ، قائلةً وهى تمنعه من مغادرة الغرفة :

— (عادل) .. أرجوك افهمنى .. إننى أحبك .. عندما أتحدث عن هذه الشركة ، فإننى أتحدث عن تأمين لمستقبلنا أيضًا .. ألا ترى أننى قد تخليت عن أشياء أخرى كثيرة ؟

انتزع ذراعه من يدها بعنف ، قائلًا :

— إننى أفهمك جيدًا .. ولولا خوفى على (حاتم) .. وإدراكى لمشاعره نحوك ، لكان لى معك شأن آخر .

أسرع يفتح باب الغرفة ، ويغادرها على نحو سريع ، فى حين ألصقت (ناهد) وجهها بالباب ، وأنشبت أظفارها فى أخشابه ، وهى تردد من خلال دموعها :

— (عادل) .. لاتتركنى .. إننى أحبك .

وفى الغرفة المجاورة كان (حاتم) يحاول أن يتغلب على صدمته القاسية، بعد أن استمع لهذا الحديث، الذى زلزل كيانه ومزق فؤاده، وأطاح بكل جدران الثقة، التى أحاط بها زوجته، وبكل عاطفة كان يحملها لها فى قلبه.. وتساءل فى مرارة:

— كيف لم يدرك ذلك منذ البداية ؟ لقد كانت مليئة بالطموحات والأطماع .. كانت عيناها تجحظان كلما حدثها عن ربح مادى ، أو أهداها سوارًا ماسيًا ، فى الوقت الذى كانت استجابتها العاطفية له ضعيفة للغاية .. وحتى تلك المشاعر ، التى كانت تتظاهر بها فى بعض الأحيان كانت زائفة .. إنها لم تحبه أبدًا .. بل أحبت ثروته .. ومركزه وقدرته على تحقيق أحلامها المادية ، وضحت بمشاعرها تجاه (عادل) ، من أجل أن تتزوجه ، وتحصل على كل ذلك .. تمامًا كما فعل فى الماضى مع (ليلى) ، زميلته فى الجامعة وحبه الأول .. كيف لم يدرك حقيقتها وهى تشبهه ؟ هل هذا هو انتقام الخالق ؛ لأنه ضحى بحبه ذات يوم من أجل تحقيق طموحه المادى ؟. ولكن لا .. إنهما غير متشابهين تمامًا ، فهو لم يحقق طموحه على حساب الآخرين وفوق أكتافهم ، لقد تخلى حقًا عن مشاعره ، ولكنه دفع فى المقابل الكثير من الكد والعمل والكفاح ، وأحلى سنوات العمر ، من أجل تحقيق ذاته ، أما هى فقد اعتمدت على خداع عواطفه ، من أجل الوصول إلى كل هذا ، دون كد أو تعب ، وليتها قدرت ما قدمه لها من نفسه ومن ماله ، بل خانته فى مشاعره وكرامته .. لقد تبدل من أجلها .. لم تعد الثروة والنجاح وتحقيق ذاته هى كل طموحاته، بل غدا هدفه الأول هو إسعادها ، والعمل والنجاح من أجلها ..

أما هى فلم تتبدَّل ؛ لأن أنانيتها ظلت مسيطرة عليها دائمًا ، وبقيت ذاتيتها هى محور طموحاتها ، حتى وهى تبحث عن الحب ..

وتناول (حاتم) صورتها من جيبه ، حيث يحتفظ بها فى حافظته ، أخذ ينظر إليها بازدراء ، ثم لم يلبث أن مزقها ، وقد غدت نظراته جامدة ، لا أثر للعاطفة فيها ، وألقى بها فى سلة المهملات ، ثم فتح بابًا جانبيًّا فى غرفته ، ليدلف منه إلى الخارج ..

إلى عالمه الأوَّل ..

* * *



١٤ ـ وضاعت الأحلام ..

كان (حاتم) جالسًا فى الشرفة المطلة على حمام السباحة ، داخل منزله ، عندما دخلت عليه (ناهد) قائلةً فى انفعال :

ـ هل تستطيع أن تفسر لى ذلك ؟.. فى الشركة أفاجأ بموظف وقح يمنعنى من دخول مكتبى ، قائلًا : إن هذا بأمر منك شخصيًا ، ثم لا أجد سيارتى فى مكانها أمام مقر الشركة ، وعندما أحضر إلى هنا يخبرنى السائق أنك طلبت منه العودة دون انتظارى ، وعدم تسليمى مفاتيح السيارة مرة أخرى .. أى تبرير يمكن أن تقدمه لهذه التصرفات المهينة ؟

رد عليها وهو يوليها ظهره ، وقد ركز بصره على حوض السباحة :

ـ لقد سحبت التوكيل ، الذى قدمته لك لإدارة الشركة ، وحولت عقد السيارة لاسمى ، وليس هذا فقط .. لقد ألغيت الحساب الذى فتحته باسمك فى البنك ، والفيلا التى اشتريتها باسمك فى (أسبانيا) .. واسترددت كل قطعة مجوهرات اشتريتها لك ، ولم يعد باقيًا لك عندى سوى حقيبتين ، تضمان ملابسك ، ستجدينهما بجوار الباب ، وأنت تغادرين هذا المنزل ..

نظرت إليه فى دهشة ، وهى لاتصدق أذنيها ، فلم يكن هذا الرجل الذى يتحدث إليها زوجها الذى تعرفه ، بأى حال من الأحوال ، وانفعلت قائلة :

ــ (حاتم) .. ماذا تقول ؟

التفت إليها ، قائلا فى خشونة :

ــ أقول : إنك لم تعودى زوجتى ، وسوف تصلك ورقة طلاقك اليوم ، أو غدا على الأكثر .

تراجعت ، وقد صدمتها كلماته مردّدة :

ــ لا .. لايمكن أن يكون هذا صحيحًا .

نظر إليها بازدراء ، قائلا :

ــ لماذا ؟ أليس هذا هو ماكنت تريدينه ؟ أم أنك كنت تفضلين أن يحدث بعد أن تئول إليك ملكية الشركة ، لتجمعى بينها وبين (عادل) ؟

قالت بصوت خافت كسير :

ــ هل كنت تعرف ؟

حاتم :

ــ لقد استمعت لكل شىء .. كانت الشكوك تراودنى خلال الأيام الأخيرة ، حول بعض تصرفاتك ، وأمس قطعت الشك باليقين . فقد كنت موجودا بغرفة الاجتماعات ، الملحقة

بالمكتب ، واستمعت بأذنى لحديث الغدر والخيانة ، الذى جرى به لسانك .. سمعتك وأنت تحاولين أن تشركى (عادل) معك فى مؤامرة دنيئة ، هدفها الاستيلاء على مالى وطعن كرامتى ، دون ذرة من ضمير أو إحساس بالندم ، وفى الوقت الذى تمسك هو فيه بمبادئ الشرف والإخلاص ، كنت أنت تدوسين على كل ذلك بحذائك .. إننى لم أتوان لحظة واحدة فى العمل على إسعادك .. حققت لك كل رغباتك وآمالك .. كدت أهمل عملى لأكون رهن إشارتك .. أحببتك بكل صدق وإخلاص ، ولكنك لم تقدرى كل هذا الذى فعلته من أجلك ، وكان جزائى منك هو الغدر والخيانة والجحود .

انخرطت (ناهد) فى بكاء حار ، وهى تردّد قائلةً :

ــ (حاتم) .. أرجوك .. سامحنى .

ولكنه ردّ عليها فى قسوة :

ــ لاتردّدى اسمى على لسانك ، واطلبى السماح من الله ، لأن قلبى لم يعد قادرًا على التسامح .

حاولت أن تستعطفه مرة أخرى ، قائلةً :

ــ (حاتم) ..

ولكنه قال بلهجة قاطعة :

ــ حقائبك بجوار الباب .. خذيها وانصرفى .

* * *

وقفت (ناهد) فى أحد الأركان المظلمة داخل النادى ، وهى ترقب حفل زفاف (عادل) و(سلوى) .. كانت مظاهر البهجة والسعادة ترفرف عليهما ، وهما يتلقيان التهانى من المدعوين .

لقد انتهى الأمر ، وفقدت الحبيب ، كما فقدت من قبل الصديقة . وهاهو ذا حلم آخر من أحلامها قد ضاع .. كانت أحلامها قائمة على الأطماع والأنانية والاستهتار بمشاعر الآخرين .. كانت دائمًا تفكر فى الأخذ ، ولم تفكر مرة واحدة فى العطاء .. وكان عليها فى النهاية أن تدفع الثمن ..

وانسحبت (ناهد) فى هدوء ، لتغادر النادى كسيرة النفس ، محطَّمة الآمال ، وقد بللت الدموع وجنتيها ، وانتابتها حالة من الشرود وهى تعبر الطريق ، دون أن تنتبه للإشارة الحمراء ، وبرغم نفير السيارة المتواصل ، إلا أنها لم تنتبه من شرودها ، إلا فى اللحظة الأخيرة ، وبينما كانت تحاول أن تتفادى السيارة المقبلة ، إذا بها تجد نفسها فى مواجهة سيارة أخرى ، لتصدمها ملقية بها فى عرض الطريق .

ولم تدر (ناهد) كم من الوقت مر عليها ، وهى طريحة الفراش فى المستشفى ، إلا أنها عندما أفاقت ، وتحسست وجهها أفزعها ، أن تجد كل تلك الأربطة . والضمادات وقد التفت حوله ، فأخذت تصرخ فى فزع :

ماذا حدث ؟ ما الذى أصاب وجهى ؟ أين أنا ؟

اندفعت الممرضات نحوها ، لمحاولة السيطرة عليها وتهدئتها ، وسمعت صوتًا يفيض رحمة وحنانًا يقول لها :

ــ لا تقلقى .. سيكون كل شىء بخير .. الحمد لله لم تحدث إصابات خطيرة فى الجسم ، وسنبذل كل ما بوسعنا لعلاج الإصابات التى لحقت بوجهك .

ومن خلال الفتحات الضيقة ، التى سمحت بها الأربطة الملتفة حول وجهها ، استطاعت أن تتبيَّن صاحب الصوت .. لقد كان الدكتور (طارق) ، الشاب الذى أهانته وجرحت مشاعره على مرأى من الجميع ..

وكأنها كانت بحاجة إلى مزيد من العقاب الإنسانى ، لتتلقى علاجها . على يد ذلك الطبيب بالذات ..

وقالت (ناهد) مستعطفة :

ــ أخبرنى الحقيقة .. هل أصبح وجهى مشوّهًا ؟

جلس (طارق) بجوارها ، على سرير المستشفى ، وهو يحاول أن يبعث فى صوته شيئًا من الطمأنينة :

ــ (ناهد) .. إننى لن أخفى عنك الحقيقة .. لقد تعرض وجهك لإصابات بليغة ، هناك بعض الكسور والتشوهات ، وسيحتاج الأمر لأكثر من عملية جراحية ، لكننا فى النهاية سنبذل أقصى جهدنا ، لإعادة الوضع إلى ما كان عليه ..

أما مسألة التشوهات ، فهذه لم تعد مشكلة ، أمام التقدم الكبير فى جراحات التجميل .. المهم معالجة الكسور والتئام عظام الوجه .

وتناول يد طبيبة كانت واقفة إلى جواره قائلًا :

ـ ولكى تطمئنى فسوف تتولى زوجتى بنفسها ، الدكتورة (صفاء) ، أمر جراحة التجميل ، بعد أن ننتهى من عملنا هنا ، وهى خبيرة فى هذا الشأن ، ولن تجدى من هو أبرع منها فى مصر ، لإعادة وجهك إلى ما كان عليه من جمال .

وقالت لها الطبيبة :

ـ اطمئنى .. سيكون كل شىء على مايرام .

وقال لها (طارق) ، وهو يتناول الحقنة من الممرضة :

ـ والآن سأحقنك بحقنة مهدئة ، وأريد منك ألا تفكرى فى شىء ، وتحاولى الحصول على قسط وافر من النوم ، وكما قالت لك الدكتورة (صفاء) : سيكون كل شىء على مايرام .

تظاهرت (ناهد) بالنوم ، فى اللحظة التى دخلت فيها (سلوى) الحجرة ، وهمست لـ (طارق) قائلةً :

ـ كيف حالها الآن ؟

طارق :

ـ لقد انتابتها ثورة عنيفة ، عندما تبينت حالتها ، وقد حقنتها الآن بحقنة مخدرة ، لكى تحصل على قسط من الراحة والنوم ، قبل الاستعداد للعملية الثانية .

قالت (سلوى) ، وهى ترمقها بأسى :

ـ وماهى حقيقة حالتها ؟

طارق :

ـ الجسد سليم .. لكنى لا أخفى عليك ، هناك صعوبات بالغة فى إعادة وجهها إلى ما كان عليه من قبل ، ولكننا سنبذل قصارى جهدنا .

واقتربت (سلوى) من فراش (ناهد) ، ووجهها ينطق بكل مشاعر الألم ، حيث تناولت يدها لتقبلها فى حنو بالغ ، قائلةً :

ـ ياصديقتى المسكينة !!

ثم التفتت إلى (طارق) قائلةً :

ـ أرجوك يا (طارق) ابذل كل جهدك .. وإذا احتاج الأمر إلى سفرها للخارج فلا تتوان فى إعداد العدة لذلك ، وأنا مستعدة لتحمل جميع مصاريف العلاج والسفر .

ربت (طارق) على كتفها قائلًا :

ـ لقد سبقك زوجها السابق فى إبداء الاستعداد لذلك ..

سلوى :

ـ هل علم بحالتها ؟

طارق :

ـ نعم .. وبرغم عدم حضوره إلى المستشفى ، إلا أنه اتصل بنا ، وأبدى استعداده لتحمل أية تكاليف يقتضيها العلاج ، ولو اقتضى الأمر علاجها بالخارج ، ومهما كانت المصاريف .. ولكننى لا أعتقد أنهم سيفعلون فى الخارج أكثر مما سنبذله من أجلها هنا .

استمعت (ناهد) لصوت (عادل) ، الذى كان قد دخل إلى الغرفة منذ لحظات ، ليقف بجوار زوجته ، وهو يقول لها :

ـ لم يعد لدينا الآن ما نقدّمه ، سوى أن ندعو لها الله بالشفاء

وقالت (سلوى) ، وهى تبكى :

ـ لن أتخلى عنها يا (عادل) .. فهى صديقتى بالرغم من كل شىء .

ردّ عليها (عادل) ، وهو يحيط كتفها بذراعه ؛ ليساعدها على مغادرة الغرفة قائلًا :

ـ لن يتخلى أى منا عنها ، وسنكون إلى جوارها ، حتى يكتب لها الله الشفاء .

وانحدرت دمعة على وجنتها ، من تحت الأربطة والضمادات .

فها هم أولاء كل من أساءت إليهم يلتفون حولها ، ويسعون لمساعدتها فى محنتها بالرغم من كل شىء ، وأحسّت بحقارة أنانيتها أمام كل هذا العطف والعطاء ..

لم تعد الرضوض ، التى أصابت جسدها ، والجروح التى شوهت وجهها ، هى أقسى آلامها ، بل أصبح أكثر منها قسوة تلك الضآلة ، التى تستشعرها فى نفسها ، وهى محاطة بكل ذلك الحب والحنان ، اللذين أحاطها بهما كل من (طارق) و (سلوى) و (عادل) .. بل (حاتم) أيضًا . فى الوقت الذى لم تقدم لهم هى إلا كل جحود ونكران ..

وقبل أن تستسلم لتأثير المخدر ، كانت ترجو الله أن يكون فى كل ما حدث لها تكفير عن ذنوبها ، فقد أصبحت طريحة الفراش ، وضاع منها كل شىء . الحب .. والجمال .. والأحلام ..

كل الأحلام ..

***

(تمت بحمد الله)



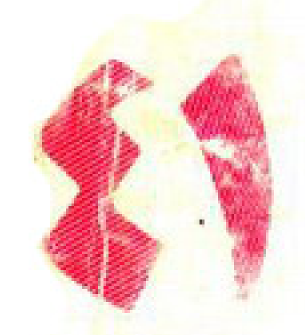
– سلسلة رومانسية رفيعة المستوى –

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



شريف شوق



أحلام ضائعة

لم تكن ناهد ترى في الوجود إلا نفسها ، فتغلبت أنانيتها وحبها لذاتها على كل المشاعر الجميلة ، التي تعارف عليها البشر ، وبينما كانت أحلامها الأنانية تضيع من بين يديها تبينت لها حقيقة هذه المشاعر ، التي لم تعرفها من قبل

الثمن في مصر ١٢٥ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم